ضاع منها فى الزحام

زينب صادق



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الاخراج الفنى	الغلاف والرسوم الداخلية
البير جورجى	للرسام : ناد

لا أحد .. يوجد أحد

جلست « سهام » وحيدة بين جدران البيت . أختها خرجت مع خطيبها . اليوم الخميس . الخطيبة تخرج مع خطيبها . الحبيبة مع حبيبها . الناس تخرج فى يوم السهر . وهى تجلس وحيدة بين جدران البيت . أصبحت تكره يوم الأجازة واليوم الذى قبله . فالعمل يجعلها تنشغل كثيرا عن هذا الشـــعور الذى أصبح يلح ويضايق ـ أنه لا يوجد فى حياتها رجل .

نظرت الى التليفون . لماذا تنتظر بشوق أن يحدثها احد ؟! أدارت أرقاما لتحدث صديقة . وصديقة . وصديق . وتسمع الرنين على الجانب الآخر . لا يوجد أحد . كل ذهب لحاله . وانشغل بأحواله . التكرار الممل للأشياء المحيطة يأتى كل خميس .

نظرت الى ما يدور أمامها على شاشة التليفزيون . ثم أغلقته .. قرأت ما يدور حولها فى أخبار الجريدة . ثم ألقتها جانبا . منذ خطبت أختها وهى تشعر بهذا القلق . وأحيانا الخوف . هى لا

تخاف أن تعيش وحدها • ولا تقلق من كتابات العباقرة فى الروايات والتمثيليات من نظرة المجتمع الى فتاة تعيش وحدها • فأى فتاة أو امرأة يمكنها أن تصنع حولها نظرات الاحترام أو نظرات الريبة • كل ما يقلقها ويخيفها أن حياتها ستصبح بدون صحبة محببة عندما تذهب أختها الى بيتها مع زوجها •هكذا اتفقت الأختان • أن تعيش كل منهما حياتها • فلا معنى أن تكبت واحدة حرية الأخرى فى بيتها اذا ما تزوجت • ولا معنى أن تكبت حرية رجل فى بيته بوجود أخرى غير زوجته • هذا الشعور بالوحدة لم تشعر به « سهام » من قبل • منذ حتمت ظروف الحياة أن تعيش وأختها وحدهما •

لم تفكر سهام فى الزواج • ربما رفضت بعض العروض بحجة أنها لا تريد أن تترك أختها الكبيرة وحدها • والحقيقة أنها لم تجد الرجل الذى يملأ عقلها وقلبها • وربما كان هناك شىء قديم فى نفسها • أمل خامد قديم تتمنى أن يتحقق ، ربما • لذلك تنتظر أحيانا رنين التليفون بشوق • وتنظر أحيانا الى صندوق الخطابات بأمل •

سألتها أختها يوما قبل اعلان خطوبتها :

« هل تظنين اننى أخونك بزواجى ، أعنى انى سأتركك وأنت قد رفضت كثيرين من أجلى •• »

قالت سهام يومها بصدق وقلق مشاعرها • ان كلا منهما عليها أن تعيش حياتها • وليس من المعقول أن تضحى كل واحدة من أجل الأخرى • ففى النهاية سيتحول حبهما الى كراهية وبغضاء عندما تجد كل منهما أن حياتها قد ضاعت بجوار الأخرى • أو أن يطلق أحد الثقلاء المستظرفين على شقتهما اسم شقة « العوانس » •

وارتاحت سهام لقولها هذا وتحرير أختها من عقدة الذنب أو القلق • لكن لماذا هى قلقة هكذا • رفعت سماعة التليفون • وأدارت عدة أرقام •

ـ « يا طبيب ·· اريد شيئا يجعلنى احتمل الحياة · اقراصا مثلا · أى شىء » ·

وجاء صوت طبيبها هادئا :

ـ « الأفضل من كل أقراص العالم الحب · حبى أحدا ·· »

ـ « نعم أعرف ·· لكن ·· لا أحد ·· »

ـ « معقول ·· أنت ·· »

ـ « أرجوك لا تعدد محاسنى »

ـ ، وأرجوك لا تغلقى على نفسك هكذا » ·

وضعت السماعة بعد محادثة قصيرة مع طبيبها وندمت انها حدثته هكذا · لكنها كانت فى حاجة شديدة أن تتحدث مع أحد ·· نظرت فى المرآة · نعم · انها تغلق على نفسـها · تتجاهل نظرة اعجاب من زميل فى العمل · تصمت أمام كلمة اطراء · كأنها على عهد مؤكد مع أحد · تنتظر بأمل غير مفصـح عنه · يحيرها · ويغلقها على نفسها ·

استعرضت وجوه زملائها · وتوقف خيالها على وجه بالذات · ابتسمت · لماذا تكذب على نفسها وتقول لا أحد · يوجد أحد ·· انها تلاحظه كما يلاحظها · ربما تدرسه كما يدرسها عن بعد وقرب ·· تعجب به كما يعجب بها · لكنها كما قال طبيبها · مغلقة على نفسها ·· واصبحت لا تعتنى بنفسها بما فيه الكفاية منذ انتابها القلق والخوف · منذ خطوبة أختها ·

* * *

نظرت سهام فى ساعتها عندما سمعت رنين التليفون · وذهبت

متكاسلة لترد ٠ لابد أن الرقم خطأ ٠ من الذى سيطلبها فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟!

ـ الدكتور محسن حمدى

ـ من ؟

ـ سهام ٠٠ أنا محسن حمدى

ـ متى عدت ٠٠ كيف حالك ٠٠ أين أنت ٠ لا أدرى ماذا أقول لك ؟!

ـ غدا نلتقى ونحكى ٠ ستجديننى أمام بيتك فى سيارة حمراء ٠٠ الساعة السادسة مساء ٠ آسف ٠ لم أسألك هل توافقين على مقابلتى ؟ ٠٠ شوقى لك جعلنى أطلب لقاءك دون استئذانك ٠٠ هذه أول مكالمة أطلبها بعد أن عدت اليوم ٠

ـ غدا سأنتظرك ٠

وقفت سهام لحظة صامتة ٠ ابتسمت ٠ مشاعر كثيرة اعترتها ٠٠ فرحة ٠ شوق ٠ اضطراب ٠ نشوة ٠ هى أول من حدثها عندما عاد اليوم ٠ دبت فيها الحيوية فجأة رقصت على أنغام حالمة ٠ فتحت دولاب ملابسها ٠ كأنها أول مرة ترى ملابسها ٠ هذا الرداء سترتديه فى مساء الغد ٠ ستقترح أن يذهبا الى مكان هادىء على أطراف المدينة أضواؤه هادئة وموسيقى جميلة تصدح من أركانه ٠ ذهبت اليه يوما مع أختها وخطيبها وتمنت أن تذهب الى هذا المكان مع رجل تحبه ويحبها ٠

وهذا الرداء سترتديه عندما تقابله فى الظهيرة ٠ ستقترح أن يذهبا الى مطعم فى حديقة كانا قد ذهبا اليه ذات يوم ربيعى ٠ وهذا سترتديه عندما تقترح أن يشاهدا مسرحية يتحدث عنها الناس بأعجاب ستقول له انها ستكون له مرشدة سياحية ليرى التغيرات

التى حدثت فى بلدهم • والأماكن الجديدة التى ظهرت أثناء غيبته الطويلة • أربع سنوات •

أعدت الكلمات التى ستقولها له اذا هو فاتحها عن طلبه للزواج • وانها ستفكر فى الأمر • وهى فى داخلها موافقة قبل أن يسألها • ربما هذا هو الأمل الذى كانت تنتظره • وابتسمت من أفكارها وخيالها • لكنه قال لها يوما انه يتمنى ان يرتبط بفتاة مثلها ، وهى أول من حدثها عند عودته • وبشوقه حدد موعدا ، فلابد أنه سيفاتحها فى هذا الأمر •• « الدكتور محسن حمدى » •• ياه •• كيف مرت السنوات وكم جمعتهما أحاديث • ونظرات اعجاب بدون كلمات •

* * *

كان صديقا لابن عمها الذى يرعى شئونها وأختها • وكان متزوجا • قابلت زوجته مرة واحدة فى بيت ابن عمها • يومها قالت لنفسها هذه المرأة لا تصلح لهذا الرجل • وفيما بعد صدق حدسها • عندما فهمت من زوجة ابن عمها أنهما ليسا على وفاق • بل دائما فى شجار لا يطاق • وكان الدكتور محسن يزورها أحيانا مع ابن عمها • بحكم انهما كانا صديقين لا يفترقان وأيضا كان يسأل ابن عمها أن يصحبه فى زيارة الأختين لشعوره بالراحة فى بيتهما والحديث معهما • وكانت سهام تتساءل أى منهما يرتاح اليها • كانت نظرات الاعجاب الخاصة تشعر بها وتأتيها بالجواب • وكثيرا ما كان يطلبها يسأل عن ابن عمها • ثم أصبح يطلبها مباشرة بدون حجج • وكانت دائما فى أحاديثها التليفونية فرحة ومتحفظة • واللقاء الوحيد الذى كان بينهما فقط حدث بعد أن تم انفصاله عن زوجته وكان فى مطعم الحديقة •

يومها توقعت أن يحدثها عن المستقبل • لكنه تحدث عن الماضى

.. قصة زواجه وعذابه وفشله . يومها توقعت أن يقول لها شيئا خاصا بها . لكنه تحدث عن شيء خاص به . وهو السفر للعمل خارج البلاد حتى يسترد قوة نفسه ويبتعد عن أرض عذابه لفترة ما . يومها حاولت أن تثنيه عن عزمه . يومها تمنت له التوفيق في الحياة .

لم تسمع عنه شيئا بعد ذلك . ولم تسأل ابن عمها عنه . مادام لم يرسل لها الا بعض السلامات . لكنها . هى أول من حدثها عندما عاد .

أخذت حماما دافئا لتنام نوما هادئا . واحتضـــنت الأمل المرتقب قبل أن تنام .

***

لاحظت أختها الحيوية المفاجئة . واهتمامها بنفسها . قالت لها عن السبب وخرجت لتقابل هذا الذى عاد .. مثل نسمة الربيع عندما تمر على زهر الشجر وتملأ المكان بنشوة موعدة . جلست بأملها وعطرها بجواره فى سيارته .

جميلة سهام كأنه لم يمر عليها أربع سنوات من عمر الزمن . كأن لم تخدشها رياح الخوف والقلق .. وهو . ملأ الشيب شعر رأسه . تقوس ظهره قليلا . خطوط الزمن على وجهه كثيرة وفى اصبع يده اليسرى بريق خاتم زواج .

عندما لمحته ، لم تصدق أولا . لكن شعورا ثقيلا مثل بداية آلام الصـــداع اعتراها . ولم تقترح المكان الهادىء على أطراف المدينة الذى حددته بالأمس فى خيالها وقالت عندما ســـألها أين يذهبان . أى مكان عام يقترحه هو .

سألته وهى تشير الى خاتم الزواج فى اصبعه · هل عاد الى زوجته ؟

هز رأسه ·· لا ·· وبدأ يحكى لها عن قصة زواجه الثانية

لم تستمع اليه تماما · لم ترد أن تسمع · كانت شاردة · أحيانا تشغل بالناس فى المكان · وأحيانا تشغل بسؤال · لماذا كانت أول من حدثها عند عودته ؟! لم تستمع جيدا اذا ما كان سيعود الى بلدهم ويستقر بها · أم سيعود للعمل على الأرض الجديدة التى اختارها ·· ثم سمعته وهو يقول :

ـ سهام ·· أنت كما أنت لم تتغيرى · جمالك كما هو ·· هدوءك كما هو · لكن لماذا لم ترتبطى للآن ؟

ابتسمت · كادت تقول له · كنت أنتظرك · أحببتك فى صمت وكنت انتظرك ·

لكنها قالت :

ـ وأنت تغيرت ·

ولم تضف شيئا · وهو لم يسألها كيف تغير · أو فى أى شىء تغير · ولم تسأله لماذا كانت أول من حدثها عند عودته ، هو قال ضمن ما قال ولم تسمعه جيدا · انه يرتاح للحديث معها ·

الحياة مليئة بالاحباط · لكن لا يصح أن نجعل هذا الشعور الردىء يعطل حياتنا · هكذا فكرت سهام · واعتذرت عن تناول العشاء معه · عادت الى بيتها مبكرة · تعجبت من صورتها فى المرآة · كأن شعرها الذى صففته فى الصباح تهدل فجأة · وتعبيرات وجهها تبدلت · هل بهذه السرعة تتغير ملامح الانسان ؟! الفرحة تجعله سعيدا جميلا والاحباط يجعله مهدلا ؟!

علقت رداءها بين ملابسها التى كانت تعدها لارتدائها فى مقابلاته القادمة · ابتسمت ابتسامة حزينة وساخرة · نظرت خلال

زجاج نافذة حجرتها الى السماء · الى السحب · السحب تتحرك مسرعة · تجرى بسرعة الرياح الباردة · لم تدرك أن اليوم كان غائما باردا الا الآن ·· لم تلاحظ من قبل أن سحابة كانت فى سماء حياتها تمنع عنها ضوء الشمس والشعور بالزمن · ها هى السحابة تجرى ·

ذهبت الى فراشها · جلست تقرأ فى كتاب ، عادت أختها من الخارج وسألتها كيف كان اللقاء !؟

نظرت « سهام » الى أختها نظرة صامتة ·

قالت : الدكتور تزوج ·

لاحظت نظرة حزن فى عينى أختها ، وهى تحاول الابتسام ، وتقول لا تهتمى · وجلست بجوارها · سألتها ·

– كنت تنتظرينه ·· وترفضين الرجال من أجله ؟

قالت سهام ، كنت أقوم بالمقارنة · كلما تقرب منى أحد أقوم بالمقارنة · كان يعجبنى وكنت أقول لأنتظره أفضل من الندم باختيار آخر ·· وهكذا ·

– هل وعدك بشىء قبل سفره !؟

هزت سهام رأسها ·· لا ·· قالت :

– أنا التى وعدت نفسى به ·

– لا تهتمى ·· ولا تحزنى · اليوم حدثنى خطيبى عن صديق له أعجب بك يوم خطوبتى · وســـألنى أن ندعوه وندعوك يومـــا لتتعارفا ·

احتضنت « سهام » أختها · قالت ضاحكة :

ـ أنا لست مصدومة · ولا حزينة · وأشعر الآن وأنا أحدثك بصدق اننى قد تحررت من أنغلاقى على نفسى ·· أشـــعر أننى خفيفة ·

وقامت « سهام » من فراشها وهى تسحب أختها تجاه النافذة · نظرت خلال الزجاج وقالت :

ـ انظرى كيف تجرى السحب ·· غدا لن يكون يوما غائما ·

نظرت اليها أختها بعد أن راقبت لحظة السحب الجارية ·· وابتسمتا ·

اســرار الحيــاة !

كانت تجلس فى سيارتها ، اشارة مرور تعطلها · سرب من السيارات أمامها · خلفها وبجانبها · تنظر أمامها كأنها تنظر الى لا شىء · نظرتها فيها بريق ، وعلى وجهها ابتســـامة تفرد كل ملامحها · وخفقة مغردة فى قلبها تسرى فى عروقها تشعرها بدفء · تفرح بهذه الخفقة المغردة كلما زارتها · لقد عرفتها أخيرا وفى هذا العمر ·· تتعجب ·

أصوات أبواق السيارات أزعجتها فأغلقت النافذة بجانبها ، تكدرت ملامحها قليلا لســـؤال يحيرها · هل انتهت رحلة عذابها الطويلة وابتسم لها قدرها أخيرا أم توقفت هذه الرحلة قليلا لتبدأ مرحلة عذاب أخرى ؟

* * *

لنقترب من بطلتنا ونغوص فى أعماق ماضـــى حياتها وهذا السؤال الذى يحيرها ·

جاءت الى الدنيا فى وقت كان بعض الناس يعتقدون فيه أن البنت تأتى بالخراب جاءت الى الدنيا بعد أربعة أولاد كبار · كان المفروض أن تستقبل بالفرح والحب والحنان ، لكنها جاءت فى بيئة لا تفرح بالبنات · ظهرت على ملامح الأب كل هموم وأحزان الدنيا وهو يعلن للصبية أن أمهم رزقت بنتا ·

قال الابن الأكبر : « لا تخف يا أبى ولا تحزن · ستسجن ابنتك مدى الحياة لن تعرف الطريق الا بصحبتنا ، ولن تعرف شيئا من أسرار الحياة » ·

خافت الأم على الطفلة من نظرات التحدى والوعيد فى عيون أبنائها · واذا فاجأها أحدهم وهى تدللها سرعان ما تتجهم ملامحها ·· كأنها تعتذر عن هذا الخطأ الذى ارتكبته فى غيبتهم · ولم تر الطفلة ردا لابتســـامتها البريئة من أحد · لم تعرف الطفلة معنى الابتسام فى المدرسة الأولية والابتدائية ، كان الأب يصحبها والأم تذهب لاحضارها : « لا تتحدثى مع الفتيات · ذاكرى فقط · لا تتحدثى مع الفتيات » · وبدأ الخوف يلازم الطفلة اذا ما حاولت فتاة محادثتها · عرفت بين زميلاتها بالاجتهاد والتجهم وكثيرا ما كانت مصدرا لسخريتهن ·

فى يوم سمعت البنت صراخ امرأة من الجيران ، سألت أمها :

« لماذا جارتنا تصرخ ؟ »

قالت الأم بامتعاض : « امرأة فاسدة تلد طفلا » ·

برقت عينا الطفلة وسألت ببراءة : « هل أنت فاسدة يا أمى ·· أنت ولدتنى وولدت اخوتى ؟ » ·

وكانت الصفعة على وجهها من الأب المتجهم هى الجواب عن سؤالها : مصيبة البنت تسأل عن أسرار الحياة » ·

وهمست له الأم : « لا تخف سأجعلها تكره هذه الأسرار » ·

كانت نساء ذلك الحى الشعبى ولودات · فى الصباح ينشرن ملابسهن وملابس أطفالهن فى الشرفات · واذا حدث وكانت ملابس البنت منشورة وترى احدى الوالدات تنشر ملابسها أو ملابس أطفالها فى الشرفة التى تعلو شرفتهم أو تجاورها · تهرع الى الأم : « يا أمى ملابسى تحت ملابس الوالدات أو بجوارهن » ·

وتهرع الأم الى ملابس البنت تأخذها وتغسلها مرة أخرى ، وتبتسم فى نفسها فرحة لنجاح خطتها : « ها أنا غسلت ملابسك حتى لا تصيبك العدوى من هؤلاء الفاسدات » ·

كانت أحيانا تذهب بصحبة أمها الى حفلة زفاف فى العائلة أو عند الجيران · تبقى صامتة بجوار أمها تتفرج مبهورة وتتعجب فى نفسها كيف يفعل الناس العيب بكل هذه الأغانى والزينات · لم تسمع من أمها طوال عمرها الصبى والشاب كلمة « عقبالك » أو « عقبال ما أفرح بك » كما تقول عادة الامهات لبناتهن فى مثل هذه المناسبات ·

وأعتقدت أن هذا الذى يفعله الناس عيبا وهى من أسرة كريمة محافظة لا يصح أن يحدث فيها العيب ، لذلك كان من الصعب على الصغيرة أن تفرح بزفاف أخيها الكبير ، ولم تسأل والديها لماذا يتركانه يفعل هذا العيب · خافت أن تكون الصفعة على وجهها هى الجواب ·

كانت البنت متفوقة · الأولى على مدارس العاصمة فى الشهادة الابتدائية · أول مرة منذ ولدت ترى شبه ابتسامة على وجه الأب وعلى وجوه أخوتها · أما الأم فلم تستطع التظاهر بالتجهم واحتضنت ابنتها وأمطرتها بالقبلات · وكان هذا التصرف موضع تأنيب من الأب للأم ·

فى ذلك الوقت كانت مكافأة التفوق أن تتعلم الفتاة مجانا فى مدارس الحكومة · وكان هذا هو السبب الذى جعل الأب يوافق على أن تكمل ابنته تعليمها فى مدرســــة ثانوية · وانهالت عليها النصائح والتحذيرات ، لكنها فى ذلك العمر لم تســـتطع مقاطعة الفتيات تماما ·

* * *

عندما واجهت أول سر من أسرار الحياة انزعجت · بكت · لقد عرفت من أحاديث البنات أن هذا يحدث لهن ، وكانت فرحة لأنها من عائلة كريمة لا يحدث هذا لفتياتها · لذلك خافت من ثورة أمها وهى تخبرها ، لم تفرح الأم كما تفعل الأمهات عادة عندما تصل بناتهن الى أول مرحلة فى الأنوثة · ولم تطمئنها ان هذا شىء طبيعى يحدث للبنات · وقد ظلت فترة طويلة من عمرها تعتقد بأنها أصبحت من الفتيـــات الملعـــونات وازدادت النصـــائح : ألا تلتفت الى الصبيان فى الطريق · ولا تنظر فى عيون الرجال ، فالصبية والرجال يحملون الشر للفتيات · وتحولت مشاعر البنت العاطفية الى قطة فى البيت بكت عليها عندما طردتها الأم لأنها قطة فاسدة تكورت بطنها · وكانت تتألم عندما ترى مريضا أو تسمع أن أحدا داهمه المرض ومات ، وقررت بينها وبين نفسها ان تدرس الطب لتشفى المرضى وتساعد الضعفاء · اختارت القسم العلمى وبالتفوق نالت شهادة اتمام الدراسة الثانوية ·

« الطب أريد دراسة الطب يا أبى » ·

وصرخ الأب والاخوة : « لا » · ، الطب معناه معرفة أدق أسرار الحياة « لا » اذا أردت أن تدرسى شيئا فليس أمامك سوى معهد المعلمات » · واستسلمت الفتاة للمستقبل الذى حددوه لها · وبدأت رحلة طويلة مع الأمراض الجسدية والنفسية لمزاولتها نوع حياة لا تحبه ولا ترضاه ·

لأول مرة فى حياتها الدراسية لم تنل شهادتها بتفوق ، فعينت مدرسة فى أحد الأقاليم البعيدة عن العاصمة · وافق الأب على سفرها لأنها لابد أن تعمل وتساعد فى متطلبات الحياة فهو قد خرج الى المعاش· وثلاثة من أخوتها تزوجوا وتركوا البيت ولم يعد أحد يساعد الأب بالمال · والأخ الرابع مازال يتخبط فى تعليمه · ولم يجد الأب الخلاص الا فى ابنته المجتهدة التى أراد يوما أن يسجنها بعيدا عن الحياة · وهى على أى حال ستكون فى مدرسة داخلية كلها بنات ومدرسات · لكن اذا كان الأب يعلم كيف تقال أسرار الحياة فى المدارس الداخلية هذه ، لفقد عقله أو لأصابته السكتة القلبية ·

فى أول الأمر كانت بطلتنا تبتسم بخجل اذا ما سألتها احدى زميلاتها المدرسات : هل وقعت فى الحب ؟ هل أحببت رجلا ؟ وتفتح فمها دهشة عندما تسمع منهن حكايات عن أسرار الحياة ·

سنة وراء سنة وهى على حالها ، وان كانت بدأت تفكر قليلا فى الرجال ، فى كونها أنثى ، فى أسرار الحياة ، لكن تعاليم الماضى وتجهمه وكلمات العيب والفساد كانت أقوى من تفكيرها فى الحياة ·

الأمل شىء ضبابى لا تستطيع تحديده · والحب شىء خرافى من وحى الأساطير آه لو تعرف سرا واحدا من أسرار الحب ، آه لو تشعر كما تقول زميلاتها بخفقات القلب عندما يحب ، آه لو ترى كيف تكون نظرة رجل يحب ·· انها لا تجرؤ على النظر فى وجه أى رجل فما بالك فى عينيه ! وقد نبهتها زميلة لها أن تراقب مدرس الطبيعة الجديد فهو بالتأكيد معجب بها ويختلس النظرات اليها ، لتنظر فى عينيه وسترى حبه ·

وقررت بطلتنا المجازفة · مجازفة النظر فى عينى رجـــل ، وكانت يوما هابطة من سلم المدرسة ، وكان هذا المدرس صاعدا ، ما كادت تنظر فى عينيه حتى التوت قدمها وتزحلقت على السلم ،

قامت مسرعة قبل أن يساعدها مدرس الطبيعة تلملم نفسها وخجلها ، وقررت الا تنظر فى عينى أى رجل ٠

بعد تلك الحادثة سعت لنقلها الى العاصمة ، لقد تعبت من حياة الريف والداخلية وحكايات المدرسات ٠ لكن ، لا مكان ٠٠ لا جواب ٠ وقالت لها زميلة كانت تسعى معها للانتقال ٠ أن هناك بابا آخر يمكن أن تطـرقاه وهو العمـــل فى بلد عربى ، يطلبون مدرسات ، والمرتب أكبر مما تتخيلاه ٠ ولم يعترض الوالدان على سفر ابنتهما فهى الوحيدة التى تساعدهما فى متطلبات الحياة ٠

وبدأت بطلتنا رحلة جديدة فى الاغتراب ، ولم تعد تندهش من الاستماع الى حكايات زميلاتها المدرسات ٠ أصبحت هى أيضا لها حكايات ٠

فى الأجازة الصــــيفية عندما تعود الى بلدها ، كانت تعد « عريسا » فى انتظارها أولا تفرح لأن هناك رجلا يرغبها ٠ تقابله وسط الأسرة ٠ الوالدان والأخوة وأبناؤهم وبناتهم ٠ لكنها تسمع منهم مثل هذه العبارات : « لقد جاء طمعا فى مالك » ، « جاء طمعا فى سيارتك » ، « جاء طمعا فى شقتك » « هذا ضخم الجثة » ، « هذا ثقيل الظل » ٠٠ ولخوفها من المستقبل وذكريات الماضى ومواجهة أسرار الحياة كانت ترفض هؤلاء العرســـان ٠ وتعود الى عملها وتحكى كما تحكى زميلاتها المدرسات اللاتى لم يتزوجن عن الرجال الذين تقدموا لهن ٠ وتجد فى كلامهن مثل كلام أسرتها : انهم رجال طامعون فى أموالهن وسياراتهن ٠ وصدقت هذا الكلام ، أصبحت مثل زميلاتها تتباهى بعدد الرجال الذين تقدموا لها ورفضتهم ٠ هؤلاء الذين يريدون الاســـــتيلاء على شقاء عمرهن يهربون كما يهرب الجبناء ٠

عندما رحل الأب ، عادت لتعيش مع الأم وتعمل فى بلدها ٠

وبخبرتها الطويلة فى التدريس وبواسطة من أحد الأقرباء عينت فى مدرسة فى العاصمة ، بل قريبة من الحى الجديد الذى انتقلت اليه ·

بطلتنا ملامحها عادية ، ليست جميلة ولا قبيحة ، طيبة بشىء من السذاجة تبتسم بصعوبة وتضحك بعناء · واستقرت أخيرا فى بلدها ، تقود سيارتها الى المدرسة القريبة وأحيانا تسير كنوع من الرياضة لتحرك عضلات جسدها · وتقوم أحيانا ببعض الزيارات العائلية أو للجيران · أصبحت سجانة لنفسها برغبتها · اقتنعت بأن قطار الزواج قد مر على محطتها لكنها تلكأت فتركها ·

حدثتها جارة عن قريب لها رآها مرات كثيرة وهى فى زيارتها أو فى الطريق ، وهو يطلبها للزواج طبيب شاب ، له مستقبل فى الجراحة ، مستريح فى حياته المادية · أولا تعجبت فرفضت ، وأمام الحاح جارتها قابلته لتثنيه عن طلبه · لكنه حدثها عن اعجابه بها كانسانة كافحت طويلا فى الحياة ، وسمعتها ليس عليها أى غبار ، آنسة مستقيمة طول عمرها ، وهو قد لف ودار ، ولا يريد الزواج من فتاة صغيرة ، لا يحب تفكير الصغيرات · حاولت أن تجعله يقتنع بعدم الزواج منها ، فهى تكبره بسنوات ليست قليلة ، وانها اقتنعت بقدرها أن تعيش بلا زواج ، لكنه أصر على طلبه ، حتى أنه أحبها حقيقة ، فربتت على كتفه ووافقت على الزواج ·

لم تلتفت للتحذيرات القديمة من أسرتها وكلماتهم عن طمع الشاب فى مالها وسيارتها وشقتها وأذهلتهم بكلماتها انها هى الطامعة فى حياة فاتتها وتريد أن تعيشها ·

أحبته بكل مخزون العاطفة فى قلبها · فتحت أبواب السجن فى داخلها ، تدفقت العواطف وكل جنون الحياة ، علمها كيف تبتسم بلا تجهم ، وتضحك بلا عناء ، وبدلت الألوان القاتمة فى ثيابها الى ألوان مبهجة ، واهتمت بزيارة « الكوافير » وألوان صبغات الشعر

وطلاء الأظافر وأحدث التسريحات · وهى بحكم بكارة عواطفها ظلت محتفظة بنوع من الشباب الخاص ، ولقلة حجم جسدها ، لا تلفت أنظار الغرباء ، انها امرأة تخطت الأربعين وتزوجت من شاب فى الثلاثين ·

* * *

انطلقت بطلتنا بسيارتها ، أمام أحد المستشفيات توقفت ، انتقلت الى المقعد المجاور ، لم تنتظر طويلا ، فقد جاء مسرعا وجلس فى المقعد الذى تركته له ، أمسك يدها وقبلها ، قال انه انشغل عليها ، نظرت فى عينيه ثم الى المستشفى وقالت : « كم كنت أتمنى أن أكون طبيبة » ·

قال : « وأنا أحقق أملك ، وأنت تحققين أملى ، لولاك فى حياتى ما حققت نجاحا الآن » ·

انه دائما يجيب عن السؤال الذى يحيرها · هل حقيقة انتهت رحلة عذاباتها ؟ ·



قال كيوبيد
((أخيرا وجدت عملا))

جلست بطلتنا أمام الشاشة الصغيرة لتشاهد فيلما قديما ، اندمجت فى أحداث الفيلم وأعجبتها القصة ، وعلمت من أختها التى كانت قد سبقتها فى مشاهدة الفيلم من بدايته أنه يدعى « الاخوة الأعداء » • فى اليوم التالى كان حديثها مع زميلاتها وزملائها فى العمل عن الفيلم الذى شاهدته بالأمس • ومن تبادل الأحاديث معهم عرفت أنه مأخوذ عن قصة لكاتب عالمى اسمها « الاخوة كارامازوف » وأن القصة وتفاصيلها أبدع ، وأن أعمال هذا الكاتب مترجمة الى العربية وتباع فى المكتبات •

نزلت بطلتنا لتشترى الكتاب • من زمن لم تشتر كتابا ، لقد ارتفعت أسعار الكتب وأصبحت تختار بين ثقافة عقلها وكسوة جسدها ، ومساعدة أهلها فى مصاريف البيت ، واقتصرت قراءاتها على المجلات التى تستعير بعضها من زميلاتها وتشترى مجلة واحدة • المهم لقد اعتزمت أمرا وهو أن تشترى القصة التى أعجبتها مهما كلفها هذا من ثمن •

فى أحد محلات بيع الكتب دلها البائع على مكتبة كبيرة يباع فيها ما ترغبه ، وذهبت الى هناك ٠

* * *

كان « كيوبيد » ملاك الحب جالســـا فوق أحد أرفف المكتبة الكبيرة يطالع فى كتاب عن الحب فى العصـــــر الحديث ليفهم ماذا حدث ؟! ٠ فهذه السهام الرومانسية للحب كلما صوبها الى اثنين يمكن أن ينشأ بينهما حب حقيقى ٠٠ ترد اليه ٠ واقتنع « كيوبيد » أن صناعته عفى عليها الزمن ٠ فالمادية التى أصـــابت الناس فى أفكارهم أثرت على قلوبهم فتحجرت ، لذلك كلما صوب سهما الى قلب رد اليه ٠ لقد اختلف نظام الحب تماما عن تلك الفترة الوردية التى ذاعت فيها شهرته ٠ كان الحبيب اذا أهدى لحبيبته وردة ٠٠ تغنى لها ٠ تحتضن رائحتها طول الليل وعندما تذبل تحتفظ بها ٠ لكن ماذا تعنى الآن وردة وسط الاعلانات الصارخة عن الساعات السويسرية ؟! ٠

نظر « كيوبيد » من مكانه المرتفع ، فوجد بطلتنا تنظر الى الكتب بنظرة باحثة حالمة ، كأنها تبحث عن قصة حب حقيقية وليس كتابا ٠ اقترب منها البائع ٠ سألها أى كتاب تبحث عنه ٠ وقالت له اسم القصة ٠ تلعثمت وخجلت لأنها أخطأت فى نطق الكلمات ٠

وكان يقف فى مكان قريب منها شـــاب يبتسم ، وقد لاحظ « كيوبيد » نفس النظرة فى عينى الشاب ٠ نظرة باحثة حالمة ، كأنه يبحث عن قصة حب حقيقية وليس كتابا ٠ وهلل فرحا ٠ لقد وجد أرضا صالحة ٠ فتاة حالمة تبحث عن كتاب ، وشاب حالم يصحح لها نطق اسم الكتاب ٠ التقت نظرات الفتاة والشاب ، وصـــوب « كيوبيد » سهمين الى قلبيهما ظلت نظراتهما ملتقية لحظة وانسحب البائع من بينهما بعد أن أشار الى مجموعة أعمال الكاتب العالمى

لتنتقى منها الفتاة ما تريد · انحنت قليلا وهى تبحث عما تريده · سحبت الكتاب ، وكادت تسير به الى البائع لتدفع ثمنه فاستوقفها الشاب قائلا ان الرواية فى ثلاثة كتب · انحنت مرة أخرى تبحث عن الكتابين الآخرين ، وانحنى الشاب ليساعدها فى البحث ·

سألها : « أول مرة تعرفين هذا الكاتب » ·

هزت رأسها ·· نعم ·

قال : « سيعجبك كثيرا » ·

عثر الشاب على الكتاب الثالث للرواية ، ولم يجدا الكتاب الثانى · وعدها البائع أن يحضر لها الجزء الناقص بعد أسبوع · وقال لها الشاب انه يحتفظ فى مكتبته بأعمال الكاتب العالمى وغيره من الكتاب ويمكنه أن يعيرها الجزء الناقص من الرواية · ولم يدر أحدهما كيف خرج مع الآخر من محل بيع الكتب · واستعاد « كيوبيد » ثقته بنفسه فسهام الحب التى صوبها لم ترد اليه ·

وقفا أمام المحل · قال لها اسمه · أعطاها بطاقة برقم « تليفونه » ومهنته · سألها أن تحدثه عندما تنتهى من قراءة الجزء الأول من الرواية · قالت له اسمها · وسار كل فى طريق ·

اثنان يبحثان عن كتب ، لابد ان تكون نظرتهما مختلفة للحب · لابد أن أفكارهما لم تتلوث كثيرا بماديات الحياة · وستكون بينهما صداقة راقية خلال تبادل الكتب ، وستكون بينهما أحاديث مختلفة عن تلك التى شاعت بين المحبين ، وسيكون بينهما حب رائع ·· هكذا تنبأ « كيوبيد » ·

* * *

ويلتقى الانسان الوحيد بآخر وحيدا ، وتتبدل وحدتهما الى

صحبة · ولأن الله لم يخلق الانسان ليعيش وحيدا فقد التقيا ، بعد أن قرأت بطلتنا الجزء الأول من الرواية ، أعارها الشـــاب الجزء الثانى ، ثم أعارها الكثير من الأعمال الروائية الكبيرة ·

يلتقيان ويتحدثان عن الكتب التى يقرآنهـــا · يتحدثان عن حياتهما · ويقل الحديث عن الكتب ويزداد الحديث عن حياتهما ·

الشاب يعيش وحيدا فى بيت كبير بعد أن رحل والداه ، وتزوج اخوته الخمسة · الذى سافر وصنع حياته فى بلد آخر · والذى استكان مع أسرته فى بيت آخر · وبطلتنا وحيدة وان كانت تسكن بيتا صغيرا مع والديها واخواتها الثلاث · وفى هذا البيت المتواضع كانت فرحة الأسرة ، ولم يحضر حفل الزفاف من اخوة الشاب غير رجلين ، وكان يبدو عليهما عدم الارتياح !

❋ ❋ ❋

فتح الشـــاب باب البيت الكبير وقال مداعبا : « هذا بيتى فأدخليه بجرأة وحرية سيدة لى » ·· وضحكت بطلتنا للعبارة التى استعارها من احدى القصـص العالمية التى قرأها ، وشـــاركها الضحكات · كانت فرحتها به وببيته كبيرة · فها هو الرجل الذى كانت تنتظره من سنين لتستكين رأسها على صدره · وهذا بيته الجميل لتستكين معه فى الحياة · فى هذا المكان الرائع الذى تحيط به أرض واسعة مليئة بالزهور والأشجار ·

على مر الزمان وفى كل مكان ، يوجد هذا النوع من البشر الذى كتب عنه الكاتب العالمى رائعة « الاخوة كارامازوف » · هؤلاء الاخوة الستة بما فيهم زوج بطلتنا لم يكونوا على وفاق · واجتمع الاخوة الخمسة وقرروا بيع البيت الكبير حتى لا يســـكنه أخوهم وزوجته · فهذا البيت ليس ملكا له وحده ، وقد تركوه يسكنه لأنه

كان فى بعثة دراسية ولما عاد منذ شهور لم يجد مكانا يسكنه سوى بيت والديه الذى كان خاليا بالصدفة · فقد كان اخوته يؤجرونه مفروشا ويقسمون ايراده عليهم وهو فى الخارج · ومنذ حضوره ذهب الايراد وأيضا لم يرض أخوهم المتمرد هذا أن يتزوج بفتاة من عائلة غنية رشحوها له وتزوج من فتاة عادية تعرف عليها من الطريق · وثار عليهم الشاب ، انه لم يتعرف على زوجته من الطريق بل فى مكان محترم لا يعرفونه ·

وقد ضحكت بطلتنا · مع أن ما رواه زوجها لا يثير الضحكات، واغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول « الاخوة الأعداء » · نظر اليها · لم يستطع مجاراتها وقال :

« أنا لم أطالبهم بنصيبى فى ايجار البيت أثناء سفرى ، فليتركوه لى لعدة سنوات وفوق كل هذا أنت أحببت المكان » · قالت : « الذى يهمنى أن أعيش معك أنت ·· لنبحث فى الغد عن مكان » ·

وكانت نظرة حب بينهما واحتضان ·

وقد هلل « كيوبيد » فرحا ، وكان يتابع قصة الحب التى نشأت بينهما من أثر سهامه التى صوبها الى قلبيهما · وقال وهو يترك النافذة التى كان يتلصص منها على الحبيبين ·

« لا يهم أن ترد الى كل سهامى · يكفينى قصة حب واحدة حقيقية من حين الى حين لتعيد الى الثقة فى نفسى ، فى هذا الزمن الذى طغت عليه الماديات » ·



أحــــلام
فى بــلاد بعيــدة

فى مقهى صغير جلست أشرب قهوة سوداء واستريح من السير الطويل فى هذه الطرقات العريقة الأوروبية · دارت عينى بين الوجوه البيضاء أستمتع بمراقبة أصحابها · توقفت نظراتى على وجهها · تأملت ملامحها الشرقية ، أعرف هذا الوجه ، كانت تتأملنى أيضا ، تبادلنا ابتسامة ، قامت الى ، تعانقنا ·

فى وقت بعيد كانت جارتى وصديقتى · عاصرت قصة حبها المفاجىء لأحد أقاربها وزواجها وسفرها معه فى بعثته · راسلتنى لفترة قصيرة ثم انقطعت أخبارها · وانتقلنا من الحى ولم أعد أعرف عنها شيئا ·

نظرت اليها كأنى تذكرت شيئا ·

قلت : لكنى أعرف انك فى أمريكا ·

لمحت نظرة صامتة خلال ابتهاجها بالترحيب بى · قالت انها ستحضر قهوتها وتجلس معى راقبتها وهى تحضر مجموعة كتب وحقيبة وقهوتها · لقد تغيرنا كثيرا ··

فى أوائل الستينات أنهت « سهير » دراستها الثانوية فى مدرسة انجليزية وتقدم اليها شاب وسيم يمت اليها بصلة قرابة بعيدة ، شاب أمامه مستقبل وقبل كل شىء أمامه بعثة دراسية فى أمريكا · فى ذلك الوقت كان السفر للخارج من الأحلام الصعبة أو المستحيل تحقيقها · وكانت « سهير » تحلم أن تعيش وتكمل دراستها فى بلاد تجيد لغتها · كانت تحلم بتلك البلاد التى قرأت عنها وشاهدتها فى أفلام السينما · وعندما وجدت من يحقق لها حلمها تعلقت به ، أحبته حبا مجنونا أثار دهشته وأيضا غروره ·

كان شرط والد الشاب أن يتزوج ابنه قبل سفره حتى لا يرتبط بأجنبية أو يضيع وقت دراسته فى البحث عن متعة · وعندما قدم الشاب لأسرته الفتاة التى يحبها رفضوها لأن عائلتها لا تناسبهم · ورضى الشاب باختيارهم لقريبته « سهير » · فهى جميلة على أى حال وتتقن اللغة الانجليزية وفوق كل هذا وعده والده أنه سيرسل له نقودا مساعدة اذا هو تزوجها ·

كانت « سهير » تعرف قصة حبه ورفض أهله · لكن ألا يستحق السفر الى أمريكا أن تجذبه اليها · وفعلت ·

أحيانا نفعل الشىء ثم نقنع أنفسـنا بما فعلناه ، أو أحيانا ننجذب لشخص نتوهم أن فى يده مصلحتنا أو خلاصنا · ونقع فى حبه والحقيقة اننا نقع فى حب رغبة تحقيق أحلامنا ·

وكان حلم السفر الى أمريكا يطغى على أى صفة سيئة يمكن أن يظهرها خطيبها · يطغى حتى على فكرة تكملة دراستها ·

فى احدى الولايات الأمريكية · كانت الشهور الأولى للحياة الجديدة فى الزواج · فى الجو المحيط ، فى تحقيق الحلم المستحيل ، فى الانبهار بالجديد ·

والد الشاب وفى بوعده وعمل على ارسال نقود مساعدة ·

والجامعة أعطتهما بيتا صغيرا وبدأت الحياة تسير هادئة كأنها ستبقى أبدا هكذا « سهير » تعتنى بالبيت وتطبخ الاكلات المصرية ، وزوجها طول اليوم مشغول بدراسته ويعمل أبحاثه · لكن وقت فراغها بدأ يكبر بعد أن شاهدت كل ما يحيط بها · بعد أن تعودت على الجديد وأصبح حياة روتينية · فكرت ماذا يمكن أن يشغل فراغها · فكرت فى طفل · وعندما قالت فكرتها فوجئت بثورة الزوج. واتهام بأنها تريد أن تعطله عن دراسته ، تريده أن يضطر للعمل ، تريد أن تحطم مستقبله · فوجئت « سهير » بهذه الثورة الغاضبة وقررت ألا تعود الى هذا الموضوع خصوصا أنه هددها اذا هى استغفلته وحملت سيرسلها الى أهلها فورا ·

أوجعتها عبارة أنه سيرسلها الى أهلها · ربما منذ ذلك الوقت بدأت تشعر أنها فى حياة زوجها مجرد شىء ، يبقى معه أو يعيده الى حيث أتى به · لم تفهم معنى هذه الصدمة وان شعرت أنها صدمة ·

فكرت فى شىء آخر يملأ فراغها ويجعلها تستفيد من وجودها فى تلك البلاد · فكرت فى حلمها القديم أن تكمل دراستها ، وعندما قالت للزوج فكرتها ، قال لها بكبرياء انها لم تأت معه لتكمل دراستها بل لتكون زوجة فقط لتعتنى به ، ونصحها أمرا ألا تشغله بمشاكلها الخاصة · ربما وقتها فقط بدأت تتساءل من هو هذا الرجل الذى تعيش معه ، ماذا كانت حياته وكيف تشكلت شخصيته · ما هى أفكاره وهل يمكنها أن تتوافق معه ؟

فكرت هل تعود الى أهلها فاشلة بعد ثلاث سنوات من سفرها· فكرت ماذا يمكن أن يفعل بها اخوتها بعد أن رحل والدها الذى كان يحبها ، فكرت فى نظرة مجتمعها ، فكرت فى نفسها ، اذا كانت هناك فرصة لتدرس وتنجح فى شىء · لماذا لا تتحمل !

لقد فشلت أن تجعل هذا الرجل يحبها ، فشلت أن تستمر فى حبه ، وتحملت فى صمت معاملته المتعالية ·

فى بلاد الغربة يجتمع أبناء وبنات البلد الواحد ، يكونون ناديا أو رابطة أو مجرد مكان يلتقون فيه · وذهبت « سهير » الى مكان اجتماع أهل بلدها ربما تجد وسطهم خلاصها أو حلا لمشكلتها ·

هناك تعرفت على أستاذ فى العلوم السياسية ، شاب مثقف فى الثلاثينات من عمره ، مطلق ، ولنباهته عين مدرسا فى جامعة أمريكية · شعرت بتقارب معه · لاحظ نظرة الحزن فى عينيها ، فهم أنها تعيش فى مشكلة ما · وكانت تريد أن تحكى عنها ·

نصحها أستاذ العلوم السياسية بالدراسة · فهى الحل الوحيد لهذه المشكلة وربما نجاحها فى الدراسة يلفت نظر زوجها لها ويجد من يستطيع أن يتجاوب معه فكريا · وهناك معادلة صغيرة يمكن أن تقوم بها وتلتحق بالجامعة ، ووعدها أنه سيقف بجانبها ويساعدها ·

الانسان لا يستطيع أن يعيش فى العالم وحده · انه لم يخلق ليعيش وحيدا ، لكن الحاجة للآخر شىء والصحبة شىء آخر · الاعتماد الكامل على الآخر مذلة والصحبة الشاملة المحبة نادرة · والحب المتبادل والحاجة المتبادلة والصحبة المتفاهمة أشياء لم تعد موجودة الا فى نوادر القصص الخيالية ·

لم يعارض الزوج فى انشغال زوجته بالدراسة مادامت لم تعطله بهذه المشكلة وتقوم بواجباتها المنزلية وفكر أن هذا شىء سيجعلها على أى حال تبتعد عنه خصوصا انه بالرغم من زواجه وتحذير أهله صاحب فتاة أمريكية ·

نجحت « سهير » فى المعادلة الدراسية وبدأت تدرس العلوم

السياسية تحت اشراف الشاب المصـــرى النابه · لقد أحبت هذه العلوم وهى لا تدرى أنها تحب أستاذها ·

هذا الشعور الغامر بغبطة الوجود بجانبه ، كتفه ملتصـــق بكتفها ، يده تحيط يدها ، هذا الأمان والسلام الداخلى الذى تشعر به وهى بجواره لا ينبع عن ضعف انه اوحيدة فى الغربة أو انها فى أزمة وتخاف · أيقنت أن هذا الشعور الغامر ينبع من حبها له · وحبه لها · عرفت ماذا يعنى الحنان فى حضن رجل ، عرفت ماذا يعنى التفاهم عرفت ماذا يعنى حلو الصحبة · عرفت أنها لابد أن تعيش كانسان ، وطلبت الانفصال عن زوجها · لقد رحب بالفكرة أولا وقال أنه سيحجز تذكرة لعودتها ، لكنه فوجىء بأنها لا تريد العودة الى بلدها وستستمر فى دراستها · وكاد يعدل عن موافقته · وبعد مشاحنات ومصادمات تم الانفصـــال فى قنصلية · وكانت « سهير » قد وجدت عمـــلا تعيش منه وحجرة فى منزل زميلة لها أمريكية ·

لابد أن نفهم اننا عندما نجلس مع شخص ما فنحن لا نجلس معه بمفرده بل نجلس مع تاريخ وذكريات ووجوه أخرى معه ·· يعنى من الصعب أن نعرف ما يدور فى رأسه تماما فى لحظة ما ، فهو مهما كانت علاقته بنا يحمل فى رأسه تاريخا وذكريات ووجوها أخرى ، فلا يصح أن نتعجب اذا وجدنا هذا الشخص تتغير ملامحه فجأة بحزن أو سعادة · بضيق أو بترحاب ، بهموم أو بسرور · واذا كان فى لحظة معنا تماما ناسيا تاريخه وذكرياته ففى لحظة أخرى لا يستطيع أن ينفصل عن هذا التاريخ وتلك الذكريات · فمن الأسئلة السخيفة التى تسألها امرأة لرجل أو يسألها رجل لامرأة ــ فى أى شىء تفكر الآن ؟ ــ أو ــ هل أنت لى كلية ؟ ــ غالبا ما تكون الاجابة كاذبة أو غير واضحة ·

« سهير » لم تعد طبيعية تماما بعد تجربة الفشل التى عاشتها

فى زواجها وان كانت مستعدة نفسيا أن تتخلص من شـــوائب تلك التجربة ولا تجعلها عائقا لحياتها ٠ لكن حبيبها مازالت تطارده ذكريات ووجوه من الماضى بصورة مرضية وان كان لا يحب أن يفصح عنها صراحة ٠ هو فقط يقول عبارات مثل ـ عاهدت نفسى ألا أفعلها ثانية ـ أو ـ أعتقد أن نظام الزواج فيه شىء خاطىء يفسد العلاقة بين أى اثنين محبين ٠

حقيقة هو لم يعدها بالزواج بعد أن تترك زوجها ، وحقيقة هى كانت فى نفسها مقررة الانفصال قبل أن تلتقى بهذا الحب ، وكان الحبيب مشجعا وليس محرضا ، لكن كان عندها أمل فى حياة مشتركة ناضجة متفاهمة ٠

الانسان هذا المخلوق الذى يحتاج للأمل لا يلتفت كثيرا الى أحزان الماضى اذا وجد الأمل لحياة أفضل ، ويستطيع أن يمارس الحياة والحب بعد يأس من استطاعته فى ممارستهما ٠ جميل هذا المعنى الكبير فى حياة الانسان ، جميل أن نعرفه ويأتى الينا ٠ اننا لا نجد الأمل معلقا فى شجرة فنقطفه وليس عند بائع فنشتريه بكل نقودنا ، وحتى ليس تماما فى نفوسنا فنستخرجه منها ٠ ومهما قيل فى ارادة الأمل فهو الى حد كبير من الآخـــرين كما هو معنـــا ٠ ولا نستطيع أن نذوق حلاوته بدون تبادل ، مثل الحب ، لا نستطيع أن نمارسه ونفهم أهميته بدون تبادل ٠

بخبرة الأمل تذكرت « سهير » تلك الأيام اليائسة عندما جاء اليها الأمل وأضاء طريقها ، هون عليها ظروف حياتها واستبشرت به خيرا ٠ أليس غريبا أن يصيبنا اليأس من نفس منبع الأمل ؟!

ربما حبيبها خاف منها ومن الأمل الصامت الذى كان يراه فى نظرتها ، فى بعض كلماتها ٠ لقد كان كريما سخيا فى عواطفه لكنه كان يعتقد أن قصة حبه مع « سهير » مغامرة لطيفة ستنتهى كما انتهت مغامرات حبه الســـابقة ٠ وبلا شك تعلق هو أيضا بها ٠

ولذلك العهد القديم مع نفسه ، ولقوة ارادته ، قاوم حبه لها وسعى الى التدريس فى جامعة بعيدة فى ولاية أمريكية أخرى ٠

أما الزوج فقد تزوج من صاحبته الأمريكية وأقنعته أن يعمل هناك ٠

أما هى فلم تستطع تكملة المشوار فى مكان ذكرياتها الفاشلة ، لم تنتقل الى ولاية أمريكية أخرى ، بل تركت القارة كلها ٠

أضاءت الابتسامة وجه « سهير » وهى تقول لى انها قد وفقت فى أوروبا فى دراستها وفى عمل اذاعى مثمر وتعيش ببساطة من ناحية العلاقات العاطفية وربما تجد من تتوافق معه وترتبط به ٠ وأكدت انها لم تتعقد من الفشل بل وجدته مفتاحا لطريق نجاحها ٠

سألتها ـ ألم تذهبى لزيارة بلدنا طوال تلك السنوات ٠

قالت : « أرسل لى اخوتى كثيرا أن أعود بعد أن عرفوا قصة فشلى ، وكنت فقط أعدهم ٠ لكنى فى داخلى كنت أريدهم أن يرونى ناجحة فى شىء ٠

« سافرت اليهم فى العام الماضى لأراهم وأرى مدينتنا وامكانية عملى وحياتى هناك ٠ أزعجنى الزحام الفظيع ٠ متى جاء كل هؤلاء الناس ؟! ٠

تغيرت مدينتنا كثيرا ٠ الأهل تغيروا ٠٠ أنا تغيرت أيضا ٠٠ سألونى متى سأعود ؟ قلت لهم عندما أنتهى من الدكتوراه ٠٠ لكن الآن لا أدرى هل سأعود أم لا ٠٠ وأنت ماذا تفعلين هنا ؟

قلت : بعثة تدريب قصيرة من مكان عملى ٠

– ستحلو لك الحياة هنا ··

– لا أظن ··

قالت بعد أن أخذت عنوان مسكنى وأصرت على أن تدفع ثمن القهوة انها ستراني كثيرا أثناء اقامتى وتصافحنا أمام باب المقهى ·· سارت الى عملها وسرت أكمل جولتى ·

الممثلة التى كانت ..

كان الزوج يشاهد احدى الحلقات البوليسية على شاشة « التليفزيون » لهؤلاء العباقرة الذين يقبضون على المجرمين مهما كانت مهاراتهم · لقد أصبح مثل هؤلاء الملايين الذين يجلسون بحكم العادة أمام هذا الجهاز الذى يسمح بانتشار كل ما هو غير مجد وغير محرك للعزيمة · شعر بالضجر ، وفكر فى هذا الجهاز الاعلامى الذى أصبح مثل عملية التدليك · فهو مثل أصابع تدلك عضلات الجسد ، يريح بدون ازعاج ، يسلى بدون أن يحفز · عندما وصل الى هذه النتيجة من تفكيره ، أطرى على نفسه لأنه مازال يستطيع أن يفكر ، لذلك قام وأغلق التليفزيون ·

فى هذا الوقت ما بين الغروب والمساء شعر بشىء مثل الألم ينخر فى عظام جسده · ففى مثل هذا الوقت ولسنوات طويلة من عمره كان يرتدى ملابسه يتأنق ويخرج ، مع أصدقائه أو مع صديقة مفضلة · يرتاد مقاهى الفنادق الكبيرة ، أو يذهب الى النادى الذى يجتمع فيه الأصدقاء ويستمتع بأحاديثهم المتنوعة ، فمجموعة

أصدقائه يعملون فى مهن مختلفة ولهم آراء سياسية مختلفة ، لذلك فالأحاديث معهم متنوعة وثرية · وأحيانا كان يقابل صديقة مفضلة، وكان دائما يحرص على أن تكون صديقة ناضجة مثقفة ليتبادل معها الأحاديث ، فهوايته التى يعمل بها أيضا هى الكلام ·

كانت حياته ثرية بالأصدقاء ولحظات الحب النادرة ، وكان سخيا على أصدقائه وصديقاته فى حدود مقدرته المادية ، مادام يقضى أوقاتا جميلة معهم أو معهن فلماذا لا يعطى · الشىء الوحيد الذى كان حريصا عليه هو وحدته وانفراديته · فلم يتزوج · كان يعتبر بيته الصغير هو مملكته الخاصة ، اذا ما دخلته امرأة للاقامة سيفقد أعز شىء لديه · حريته · فما الذى جعله يتزوج وهو فى هذا العمر الذى يقترب من المعاش ؟!

لكن رجلا فى حيويته ورجولته ونوع عمله لا يعـــرف عمر المعاش · هذه الكلمة الســـخيفة لهؤلاء الموظفين الكادحين الذين يعملون فى المصالح الحكومية والشركات ، يمضون عمرهم منكبين على مكاتبهم مثقلين بهموم العمل ، ثم يعودون الى منازلهم حيث زوجاتهم الثائرات ، الشاكيات من أى شىء وشقاوة الأولاد · وبعد يوم عمل شاق يجلسون أمام هذا الجهاز المسمى بالتليفزيون ليدلك عضلاتهم ، ولا يحفزهم على عمل شىء هام · وينامون مثل الموتى ليقوموا فى الصباح يعملون نفس الأشياء والأعمال وتدور بهم الأيام على نفس الوتيرة الى أن يجدوا أنفسهم ذات صـــباح محالين الى المعاش ، مع خطاب رقيق من مكان العمل ، وحفلة سخيفة من الزملاء وربما يقدمون له هدية · وتطوى صفحة من حياته التى لم يعشها تماما ، أو لم يعشها بعد ، وتبقى عبارة تدق فى رأسه « استغنينا عن خدماتكم » · أو « استفدنا من خدماتكم » · أو أى عبارة من هذه العبارات المصحوبة بكلمات رقيقة موجعة · لا · ليس هو مثل هؤلاء ·

ان عمله ملك يده ، وسيعمل الى أن يموت وليس الى أن يحال الى المعاش · فهو رجل صــاحب مكتب خاص للمحاماة ، وفنان أيضا · لقد كتب عدة مسرحيات من القضايا التى تناولها ، رفضت جميعها من المسارح · وكتب قصة بوليسية سينمائية ، نصـحه المخرج الذى عرضها عليه أن ينتجها لحسابه · وكتب عدة مقالات سياسية أرسلها الى صحف ومجلات ، ألقيت جميعها فى « الزبالة »· لكن مهما كان فشله فى الوصول الى شهرة ما ، فهو ليس من هؤلاء الذين يحالون الى المعاش · ربما لذلك تزوج فى هذا العمر ليبدأ حياة جـديدة ويغير من روتين حياته · لقد سـمع عن رجال كثيرين يتزوجون فى هذا العمر للمرة الثانية أو الثالثة ويبدءون حياتهم وكأنهم يولدون من جديد ، وينعمون بالراحة البدنية والقلبية ما بقى لهم من عمر · لكن هو فى هذا العمر يتزوج للمرة الأولى !

ربما لم يلتفت الى حقيقة وهى أن هؤلاء الرجال الذين سمع أو قرأ عنهم كانوا سعداء فى زيجاتهم فى هذا العمر لأنهم قد تعودوا على الحياة الزوجية ورفقة زوجة فى البيت ، وكانت مشـاكلهم فى الانفصال عن زوجاتهم أنهم لم يتوافقوا معهن ، أو ترملوا وهذا خارج عن ارادتهم · لم يكن هؤلاء الرجال حريصين على وحدتهم وانفراديتهم مثله ، لذلك عندما تزوجوا فى هذا العمر شعروا بسعادة التوفيق ، أما بالنسبة له فالأمر مختلف تماما ·

ربما بعد ثلاثة اشـهر من الزواج زالت بهجة انتصـاره بالحصول على هذه الزيجة كما اختفت بهجة الشهرة التى حصـل عليها فجأة · وربما لأنه فقد كثيرا من عاداته المحببة اليه ، وربما لأنه وجد انه لن يحقق هدفا فى عمله من هذه الزيجة ، أن يصبح محاميا لنجوم السـينما مثلا ، فهناك محام معروف متخصص فى مشاكل النجوم ولا يثقون فى غيره ، وأيضا بدأ هذا الرجل يحاربه بدون مناسبة حتى لا يأخذ مكانه · وربما بسبب المرأة التى تزوجها·

وربما لكل هذه الأسباب أصبح يشعر بحنين الى انفراديته وحريته ووحدته التى يختارها وقت ما يشاء · وأصبح يشعر بالوخز فى عظامه كل يوم فى هذا الوقت الذى كان يستعد فيه للخروج ولقاء أصدقائه أو احدى صديقاته ·

فى هذا الوقت ما بين الغروب والمساء قامت زوجته الممثلة المشهورة من نومها ، فأحسن ساعات نومها فى النهار ، وأحسن ساعات صحوها فى الليل · طول الليل · خصوصا فى هذه السنوات الأخيرة التى لم تعد تعمل فيها ، ولم يضطرها أمر عمل أن تستيقظ فى الصباح · لقد كبرت فى العمر ولم تعترف بهذا التطور الطبيعى لحياة الانسان انه يكبر ، وفى كل مرحلة من مراحل حياته له دور ، فاذا كان هذا بالنسبة للانسان العادى فما بالك بممثلة ؟! · لكنها رفضت الأدوار التى عرضت عليها لتقوم فيها بدور أم · أو زوجة أب ، أو أى دور يحتاج الى امرأة كبيرة فى العمر · وقد تحدت الطبيعة والمجتمع والعالم وأنتجت فيلما قامت فيه بدور فتاة صغيرة تهرب مع حبيبها لتتزوجه بالرغم من معارضة أهلها · وسقط الفيلم سقوطا فظيعا · فكان المشاهدون فى صالة العرض يضحكون على هذه المرأة السمينة الكبيرة التى تحب شابا فى عمر ابنها ومع ذلك فقصة الفيلم تقول انها مثل عمره · وتقوم بتصرفات لا تليق بعمرها وشكلها عموما وتقول كلمات فتاة غريرة فتثير ضحكات المشاهدين · وقد كتب أحد نقاد السينما فى جريدة : « انه اذا كانت الممثلة الكبيرة حولت شخصية الفتاة الصغيرة التى مثلتها الى امرأة ناضجة تحب شابا أصغر منها بسنوات كثيرة وتقاوم المصاعب والمجتمع لتتزوجه كان يمكن أن ينجح الفيلم وتحتفظ الممثلة المشهورة الكبيرة بسمعتها لدى جمهورها » · ولولا نعمة النسيان التى أنعم بها الله على الناس ما كان أحد يغفر لها هذا الفيلم · وبعد هذا السقوط فضلت الممثلة الكبيرة أن تعيش على أمجاد ماضيها ·

الممثلة عندما لا تجد ما تقوله عن مجد حاضرها الفنى ··

تتحدث عن مجد ماضيها · وعندما لا تجد ما يثير فى اخبارها الفنية تبحث عما يثير فى اخبارها الشخصية · وكانت هذه الزيجة التى تحدثت عنها المجلات الفنية والجرائد اليومية ·

والرجل الذى يفشل طموحه العملى فى الوصـــول الى مكانة مرموقة وشهرة فى المجتمع ويجد أن « سجادة » الشهرة تنسحب من تحت قدميه يبتز الشهرة من امرأة مشهورة ، وهكذا كانت زيجة هذا الرجل الذى ثار على جهاز التليفزيون فاغلقه ·

لماذا يتذمر الآن ، وكان سعيدا أول معرفته بها ، لقد صحبه بعض اصدقائه ذات ليلة الى بيتها هذا الفخم الذى يعيش فيه معها ، وبعدها كان يذهب اليها كل ليلة · وكان يشعر بالزهو وهو يرى حبالها الأنثوية المدربة وهى تلفها حوله ، الى أن تزوجها ، واعتبر هذا اكبر نصر حققه فى حياته ·

هناك اشياء كثيرة تعمى الناس عن الحقائق ، منها الشهرة والمال ونوع معين من الحب · مسكين هذا الرجل اذا صح واعتبرناه مسكينا ، فقد أعمته هذه الأشياء الثلاثة عن رؤية اى حقيقة ·

قامت الممثلة الكبيرة من نومها كما قلنا من قبل ، وارتدت ملابس تفضلها للبيت وهى اشبه بملابس السهرات · تزينت ، وذهبت الى زوجها القابع فى صمت فى ركن من حجرة المعيشة ، ويبدو أنه كان غارقا فى افكاره فنسى أن يضىء الحجرة · أضـــاءت النور واقتربت منه ـ ابتسم بسخرية وهو يسألها ماذا ستفعل هذا الليل ؟!

قالت انهما سيشاهدان فيلما من افلامها القديمة ، سيعرضه التليفزيون فى سهرة الليلة · وستسجله على شريط « فيديو » ·

استسلم فى صمت ، فهى تسجل افلامها القديمة لتعيد عرضها ، او تشتريها من السوق او يهديها لها أحد اصدقائها · المهم لا يمر

أسبوع بدون أن تعرض فيلما أو اثنين من أفلامها القديمة فى جهاز « الفيديو » • وتجلس بجوار زوجها تعلق على أحداث الفيلم • مع كل لقطة لها تعلق • وتتحدث عن تلك الأيام التى كان الفن فيها فنا حقيقيا ، وعن مجدها الفنى القديم ، ولا تنسى أن تسب الممثلات الناشئات • ولا يمكن أن تحتل واحدة منهن مكانها • وتقسم أنها كانت من أعظم الممثلات ، وامرأة من أجمل النســـاء ، وكم تهافت عليها المنتجون ، وأحيانا تذكر أحد أزواجها السابقين بدون مناسبة أثناء تعليقها على الفيلم •

لقد كانت • وكانت • وكانت • واكتشف الرجل أنه قد تزوج من امرأة كانت • وليست امرأة تكون • فهى لا تعيش فى حاضرها ، وتفكر مثلا كيف تســـتغل مواهبها الفنية بعد تجربتها الطويلة ، ولا تتحدث عن حاضرها معه ، أو حاضرهما معا فى هذه الزيجة لا تحاول أن تدخل على قلبه السرور كما تفعل الزوجات ، بل هى دائما تستفزه •

وكثيرا ما سأل الرجل نفسه فى الشهر الثالث من الزواج • كيف يعيش مع تمثال بلا روح ، ولا قلب ، فمعظم التماثيل تنتمى للماضى ، الفرق بين جسدها وجســد التمثال أن جســـدها دائم الحركة ولا يشبع من طعام أو شراب بالرغم من قرارها اليومى أن تقوم بعمل تخفيض لوزنها •

عندما سألتها صديقاتها من الوسط الفنى وغير الفنى لماذا تزوجت من رجل ليس ثريا بما فيه الكفاية ، وكانت زيجاتها السابقة من رجال أثرياء كأنهم يملكون ثروات الأرض • همست لهن بكلمات وابتسمن • وانتشرت من بين أفواههن التى لا تعرف كتمان السر • انتشرت الحكاية • وعندما سألها أصدقاؤها فى الوسط الفنى وغير الفنى لماذا تزوجت هذا الرجل • فهو ليس مشهورا فى عمله ليسحرها

نفوذه · وليس شابا ليسحرها شبابه · قالت لهم انها قررت الزواج من رجل عادى لتستقر كأى امرأة فى هذا الكون ·

والزوج ، والحق يقال رجل غيور · لا يحب أن تتبهرج امرأته أمام الخلق ، ولا أن يمتلىء بيته بالرجال كل مساء ليتسامروا مع زوجته ، وقد ظهرت غيرته فى أول أيام الزواج ، فاختار أصدقاؤها السلامة وامتنعوا عن زيارتها ، واكتفوا بمحادثتها تليفونيا للسؤال عنها أو الحقيقة للسؤال ، هل مازال الزواج مستمرا ؟! · ومع ذلك فهى من حين لآخر تدعو أصدقاؤها ومعارفها لقضاء سهرة فى بيتها ويفاجأ الزوج ·

نظر الزوج الى زوجته ، هذا التمثال الذى لا يهدأ ، وزاد الوخز فى عظامه ، وهو يتخيل ما ستقوله الممثلة المشهورة عندما تشاهد فيلما من افلامها القديمة وانها كانت وكانت · « وانظر هذا المشهد · و · لاحظ هذه الحركة » · فقام وهو يقول لها انه سيخرج ليسير قليلا ، فهو من زمن لم يزاول رياضته المفضلة فى السير ، وهى بحكم موقعها فى الشهرة ترفض مزاولة هذه الرياضـــة معه حتى لا يلتف حولها الناس المعجبون فى الطريق العام !

قال الزوج انه سيخرج ولم ينتظر اجابتها المعترضة ، فقط سمع صوتها وهو يغلق الباب خلفه « لابد أن تعود قبل بداية عرض الفيلم » ·

مع بدايات الليل وقف الرجل فى الطريق يستنشق بعمق نسمة هواء باردة ، كأنه سجين خرج من بين قضبان الســـجن فى هذه اللحظة ليبدأ استمتاعه بالحرية التى حرم منها ثلاثة شهور ، بسبب جريمة ارتكبها فى حق نفسه · وتذكر انه حرم من صحبة امرأة الى مكان عام ، فهو منذ تزوج من الشهرة ، ومحكوم عليه أن يرتاد أماكن معينة غالية التكاليف ، لا يستطيع بامكانياته المادية أن يصـــحب

زوجته المشهورة للسهر فيها كل ليلة · وقد جرب فكرة أن تدفع هى الحساب فى هذه الأماكن الغالية ففضحته بين أصدقائها فى احدى السهرات · بعدها رفض هذه الفكرة حفاظا على ما بقى له من كرامة · وقد تساءل المعارف والأصدقاء · حقيقة كيف ينفق هذا الزوج المحدود الدخل على هذه الممثلة المسـرفة التى تعودت من أزواجها السابقين على حياة البذخ ؟! واقتنعوا أنها تنفق عليه . وقطعا هناك شىء يجذبها اليه · أن تنفق على رجل ·· هذا ليس من منهجها · وقد عرفوا فيما بعد هذا الشىء من همسات صديقات الممثلة اللاتى لا يعرفن كتمان السر ·

سار الزوج لا يعرف الى أين · سار الى أن تعب من السير فعاد ·· لم يصعد الى البناء الفخم حيث يسكن فى احدى الشقق الواسعة مع زوجته الممثلة المشهورة ونزل الى جراج السيارات فى البناء · نظر الى سيارته القديمة المهملة فى ركن من أركان المكان ، واتجه اليها ، فهو منذ تزوج من الشهرة وهو يستخدم سـيارتها الفاخرة · شعر براحة عندما جلس فى سيارته · وقادها لا يعرف الى أين ·

وكأن سيارته تعرف طريقها القديم ، ومكانها الذى اعتادت عليه ، فوجد نفسه دون أن يدرى أمام بيته ·

صعد الى شقته المتواضعة ، هذه التى أراد أن يفرض ارادته كرجل على امرأة تزوجها لتعيش معه فيها · فوافقته ليلة واحدة ، وعادت الى شقتها الفاخرة ·

« يارجل هل تريد أن تعيش طول عمرك فى بطن الأرض ؟ » ·

عندما فتح باب شـقته وأضاءها اسـتقبلته رائحة التراب والرطوبة ، ومع ذلك شعر أنها تحتضنه بشوق كأنها حبيبته المخلصة التى هجرها ولم تيأس من عودته ·

التقت نظراته بنظرات أمه ، فى هذه الصـــورة النادرة التى يضعها فى اطار ذهبى فوق منضـــدة عند المدخل · من زمن بعيد يضعها فى هذا المكان حتى يلقى عليها السلام قبل أن يخرج وعندما يعود ، ولأول مرة خيل اليه أن نظرات أمه حـــزينة وابتســـامتها اختفت ·

ذهب الى حجرة نومه ، ألقى بجسده فوق فراشه وبكى بكاء مرا لم يبكه منذ سنوات بعيدة منذ ماتت أمه · لم يدر اذا كان قد نام أم فقد الوعى لســـاعات طويلة ، لأنه أفاق على صـــوت رنين التليفون وجسده يرتعد بشعور جارف بالبرد · وكانت زوجته على الطرف الآخر · بصوت مرتفع صاحت فى أذنه ·

« بحثت عنك فى كل مكان · وطلبتك هنا وأنا لست متأكدة من وجودك · عندنا ضيوف ليشاهدوا معنا الفيلم · هل أردت أن تحضر شيئا من أوراقك أو ملابسك ، على أى حال الفيلم سيبدأ الآن فأحضر على الفور » ·

سألها لماذا لم تخبره من قبل عن هؤلاء الضيوف ، فقالت ضاحكة انها نسيت · لقد وعدته كثيرا خلال شهور الزواج الثلاثة ألا تفعل شيئا بدون أن تخبره ، وتعود لتفعل ما تريده · قال لها انه يشعر بتعب وسينام الليلة فى شقته ·

شعرت بالغيظ والهزيمة · ماذا ستقول لضـــيوفها عن عدم وجوده · ربما يعتريهم شك انه هجرها · لقد شعرت منذ فترة انه لم يعد يهتم بها كما يجب أن يهتم رجل مثله بأمرأة مشهورة مثلها · وأصبح يخرج وحده كثيرا وهذا لم يعجبها ، فالرجل الذى يحبها لابد أن يكون تحت أمرها فى أى وقت · لم يهجرها أحد من قبل · ولن يهجرها ·· ولما كان بين ضيوفها صـــحفى فى جريدة يومية واسعة الانتشار ويكتب فى الفن فقد لمعت فى رأسها فكرة · منذ ثلاثة

شهور والصحف لا تكتب عنها شيء · منذ الضجة التى افتعلتها بحكاية زواجها من محامى مغمور ·

قالت الممثلة المشهورة بصوت مرتفع وهى تنظر الى الصحفى ليلتفت اليها وهى تمسك بسماعة التليفون :

« يا أستاذ أنا شخصية عامة وبيتى مفتوح لكل الناس ، وأنت تزوجتنى وأنا نجمة مشهورة ولست نكرة · وعلى أى حال ، لم أعد أحتمل سخافاتك ولا يمكن أن أضحى بالفن من أجلك · سأحزم ملابسك فى حقيبة طبعا الملابس التى اشتريتها لك والساعة الذهبية لن تأخذهم · وأرجو أن تحضر فى الصباح لتأخذ أشياءك وتترك مفتاح سيارتى ، والأفضل أن تترك أيضا قسيمة الطلاق » ·

تعجب الزوج من ثورتها المفاجئة ، شعر بالحرج لكنه لم يثر لأنه فى نفس الوقت شعر براحة وتوقف الوخز فى عظامه · وضع سماعة التليفون ، ووضعت الممثلة المشهورة سماعة التليفون فى الجانب الآخر ، واستأذنها الصحفى فى استخدام التليفون ليملى على جريدته هذا السبق الصحفى الذى حصل عليه الآن ، فهو لحسن حظه أينما يكون توجد الأحداث المثيرة ·

ابتسمت الممثلة ولمعت عيناها ببريق الانتصار وضيوفها ينظرون اليها يخفون ابتساماتهم أو يظهرونها · وقالت وهى تتجه الى جهاز التليفزيون ·

« الآن سنشاهد فيلمى القديم ، وبعدها نكمل السهرة فى ملهى ليلى ، فالليلة لابد أن تشاركونى الاحتفال » ·

ولم تكن كلماتها موجهة الى كل ضيوفها ، بل الى رجل بالذات صاحب شركات سياحية جاء فى صحبة أحد أصدقائها ليدعوها الى رحلة سياحية ، لتكون نجمة الرحلة · هكذا سيكتب فى الاعلان ·

هو : مازلت تحبينى

هى : أحبك .

هو : لننس الغضب . الوقت والعمر لا يحتملان

هى : لننس مشاريع الغد المؤجل

هو : ونرتاح فى هذا الليل

هى : (لنفسها)

« فى الصباح اختلطت الأشياء ببعضها . الحب بالكراهية . الأمل باليأس . المعقول باللامعقول ، الاحتقار بالحاجة . أين أنا من كل شىء ؟ »

هو : قابلت رئيسك فى الصباح ؟

هى : كان مشغولا

هى : (لنفسها)

« كان متعكنن المزاج · لا يريد أن يرى أحدا اليوم · لا أدرى ماذا يحدث لهم عندما يجلسون فوق هذا المقعد · عندما تصل نفسهم الى أمان الامتلاء · ينسون تعبهم وقسوة الحياة عندما كانوا لا شىء · ولا يملكون شيئا · فينظرون الى مشكلة حية أمامهم باستهتار مقزز · قال لى يوما رئيسى اذا أردت أن أزيد دخلى أعمل عارضة أزياء · ويختلط الاحتقار بالحاجة · والمعقول باللامعقول · تخطانى فى الترقية · كانت لواحد من اثنين · زميلى وأنا · ان كنت لا أريد أن أقول اننى أكفأ منه · فهو لايتميز عنى فى العمل بشىء الا انه رجل · رئيسى اختار الرجل بعد حيرة قصيرة · وقال لى أقرب الناس اليه انه يعترف بامتيازى لكنه خاف من التجريح · اذا رقى الفتاة لقالوا لابد أن بينه وبينها علاقة · ويختلط المنطق باللامنطق · هل المرأة تظل مغبونة لأن رئيسها يخاف على سمعته · وقررت ألا أستكين · والتعب النفسى مرهق ، وأكاد أترك كل شىء » ·

هى : أريد أن أمكث فى البيت

هو : وتستسلمى للفشل · الحق بجانبك ·

هى : الحق لا يصنع شيئا

هو : اذا خرجت من الطابور سيختل وتخذلين الواقفات بعدك ·

(هو لنفسه)

« تريد أن تحملنى أخطاء كل الرجال · فى الصباح دفعت كل الفواتير وسألنى صديق تزوج حديثا أن أقرضه بعض النقود ·· أعطيته ما أراد وحسدنى لأنى لم أتزوج للآن · لكنها تريد أن تتزوج ·· وتريد أن تمكث فى البيت · كيف · ومرتبى لا يكفى لحياة اثنين لا أظن انها جادة فيما تقوله الآن · كنت أنتظر ترقيتها وأفاجئها

بالطلب الذى تنتظره وتلح فيه · لست ماديا لهذه الدرجة · أحبها · لكن مطالب الحياة » ·

هى : طلبت سلفة

هو : السلفة ورطة

هى : لكن لابد أن نعيش

هو : الحياة نفسها ورطة

هى : لكن لابد أن نعيش

هو : ابتسمى الآن · لنترك المشاكل للصباح

هى : لننس مشاريع الغد المؤجل

هو : ابتسامتك حلوة

(هو لنفسه)

« يا صاحبة أجمل ابتسامة يمكنك أن تعوضينى حرمان السنين اذا أصبحت دائما حلوة · راضية · مثل هذا الليل · لكن ، ثورة غضبك جحيم ولا أستطيع منع تقلبك · أنت جميلة بكل تغيير · مثل الجو مثل تغير الفصول » ·

هى : من زمن لم تغمرنى بالحنان

هو : من زمن لم تعطنى هذه المشاعر الحلوة ·

(هى لنفسها)

« يمكن أن تكون دائما ·· المشاعر الحلوة · لكن الضغط على الأعصاب · من مطالب الحياة والرغبة فى التغيير والأمل المكتوم · عندما تظهر وتلح فى التحقيق تختفى مشاعرى الحلوة بالضغط

والطلب المرفوض وتبقى الأعصاب مشدودة · اهدئى يا أعصاب أريد أن أعيش) ·

هو : كيف تعطينى كل هذا الشعور الجميل ؟!

هى : وكيف تعطنى كل هذا الشعور الجميل ؟!

(هو لنفسه)

« كانت فرحة واثقة بأنها ستأخذ الترقية · قالت لى يومها لنبدأ فى عمل البيت · ترددت · قلت لها لننتظر قليلا · أعرف هذا الشعور الذى انتابها هذه الأيام · عندما تصل الى قمة الأمل حتى تكاد تعتقد أن كل شىء يمكن تحقيقه اليوم · وعندما تصل الى قمة يأس حتى لا نجد الا المستحيل » ·

هو : فى الصباح اذهبى اليه

هى : الأمل قليل

هو : لا أحب أن أراك يائسة

(هى لنفسها)

« فى الصباح تختلط الأشياء ببعضها · الحب بالكراهية · الأمل باليأس · المعقول باللامعقول · الاحتقار بالحاجة · مشاعر الليل الجميلة تندثر فى مشغوليات ومطالب الصباح · يا أوقاتنا السعيدة لماذا يطلع عليك النهار ؟ » ·

هذه العواطف العجيبة

ﻓ لحظة ضيق وقلق قلبت صـــفحات الجريدة · قرأت كل أخبارها ومواضـيعها ثم انتقلت عيناى القلقتان الى الاعـــلانات والاجتماعيات توقفت نظراتى على صورة تأملتها قليلا · قرأت اسم صاحبها · الدكتور فلان الفلانى · عاد من الخارج بعد زيارة علمية لمستشفيات انجلترا وألمانيا · ويباشر عمله بعيادته فى شارع كذا · نمرة كذا · ابتسمت وأنا أتذكر · كان أول من قبلنى على شفتى قبلة طويلة · كانت أول قبلة له · ولى ·كنت صغيرة · المرأة لها عواطف عجيبة أشياء صغيرة تظل معلقة فى ذاكرتها مثل أول قبلة على شفتيها · مثل أول موعد حب · مثل · أشياء كثيرة صغيرة ·

لم أذكره يوما · لم أعرف عنه شيئا · لم تلفت نظرى اللافتة التى تحمل اسمه · وسرت بجوار عيادته مئات المرات · فقط تذكرته بالصورة فملامحه لم تتغير كثيرا ·

« كان قريبا لاحدى صديقات الطفولة · كان يزورهم كثيرا ··

وكان خلف منزلها دار سينما صيفية · وليالى الصيف كانت تحمل لنا فرصة مشـــاهدة الأفلام · الـــكبار كانوا يمنعوننا أحيانا من مشاهدة فيلم معين لم يكن التليفزيون قد ظهر فى بلادنا لنشاهد خلاله كل الأفلام بالرغم من رقابة الكبار وعندما يخرجون فى زيارة كانت فرصتنا لمشاهدة الفيلم كاملا ·· دون تدخلهم بعنجهية · أن نترك الشرفة لأن الفيلم لا يناسبنا ·

وكانت ليلة من تلك الليالى التى كنا ننتظرها · اختفاء الكبار ·· جلسنا فى الشرفة نتمتع بالفيلم العاطفى الأجنبى · لا أذكر اسمه لكنى مازلت أذكر تفاصيل الموقف كان البطل يرتكن على جذع شجرة وكانت البطلة تقف أمامه تحدثه · أو تعاتبه · فجذبها من ذراعها بقوة دون أن يتحرك من مكانه · جذبها الى صدره · احتضنها بقوة ·· قبلها على شفتيها ·

وبعد انتهاء الفيلم · كان يقف مستندا على باب الشـــرفة وسألنى :

« هل قبلك أحد وعرفت معنى القبلة ؟ » صعدت الدماء الى وجهى وهززت رأسى · لا · فجذبنى من ذراعى · تماما كما فعل بطل الفيلم جذبنى الى صدره بقوة · قبلنى على شفتى · قاومته فى البداية · ربما كما فعلت بطلة الفيلم · لم أستطع أن أفلت منه · وعندما انتهت القبلة · هللت بقية المجموعة · وقالوا كان مشهدا أروع من الفيلم · بالرغم من ارتباكى وخجلى شعرت بزهو · وبقيت أياما أحلم · فالقبلة لابد أن تكون بداية قصة حب · هكذا حدث فى الفيلم ·

وأصبحت أنتظر حضوره عند صـــديقتى · وأحب أن يكون مقعدى بجانب مقعده ونحن نشاهد فيلما من الشرفة · وأحب أن تلمسنى يده عفوا · وكنت كثيرا ما ألمس يده عمدا · لكن · لم تحدث بيننا قصة حب · ولم يحدث أن قبلنى مرة ثانية · واختفى من بيننا

فجأة · قالت قريبته أن أباه انتقل للعمل فى بلد آخر · وسافرت معه العائلة · يومها شعرت بحزن · كانت أيضا أول غصة يعرفها قلبى وانتظرته كثيرا · وزار أحلام يقظتى كثيرا · لكنى نسيت · كبرت ونسيت » ·

ذهبت الى عيادته · عاطفة قوية دفعتنى لأرى أول من قبلنى ·

اضـــطربت عندما جاء دورى · ماذا سأقول له · وفتحت الممرضة باب الحجرة فلم أجد فرصة للتراجع · واستسخفت فكرة زيارتى له ولعبة هل هو أيضا يتذكر ؟

كان يجلس وراء مكتبه ·· يكتب فى ورقة ·· بنظرة سريعة قال وهو يشير الى مقعد أمامه أن أجلس ·· ملامحه لم تتغير ·· تعبير الجمود فى وجهه زاد قليلا · وضع أمامه ورقة خالية · سألنى، وهو ينظر فيها ويكتب · الاسم السن · أعمل أولا أعمل · متزوجة أو غير متزوجة · أسماء كثيرة مرت عليه · أنا أيضا لم أذكر اسمه الا عندما رأيت الصورة · وسألنى عما أشكو ·

قلت : ليست بى علة معينة · لكن أكره الشتاء · وهذه الكراهية تجعلنى أمرض ·

ترك الورقة ونظر الى · خيل الى أنه سيضحك · نظر الى طويلا ·· واضطربت بفكرة « أنه ربما يتذكر هذا الوجه » وابتسمت ·· قال باهتمام أن ما أشـكو منه ليس مضـــحكا · فالكثير من الأمراض الجسدية سببها نفسى وأننى لابد أشكو من حساسية للبرد وحكى لى عن بعض الأمراض الجسدية النفسية ··

كانت نظراته ثابتة على وجهى هل حقيقة تغيرت ملامحى ؟

ذهب الى حجرة الكشف وسرت خلفه · وقف بجوار الباب

وسألنى أن أدخل · أخلع ملابسى وأغطى جسدى بالملاءة · وقال ألا أخاف البرد فالحجرة مكيفة · لم أكن أضع فى حسابى مسألة الخلع والكشف · التفت اليه لأقول له اننى لا أشكو شيئا ولا داعى للكشف · لكنه كان قد ترك الحجرة وأغلق الباب ·

كان ينظر الى شفتى وينتظر الايجاب أو النفى على سؤاله ·· هل أشعر بألم هنا · أو هنا ·· اضطربت قليلا بفكرة « انه ربما تذكر شفتى » · قال يومها انها أول شفاه يقبلها · لم أر أى تغيير فى ملامحه انه تذكر · عندما كشف على أعصابى اهتزت ساقى بشدة ·· لم يقل كلمة · ترك حجرة الكشف وهو يسألنى أن أرتدى ملابسى ·

عدت الى حجرة المكتب · كان ينظر الى الورقة ويكتب تقريرا عن حالتى · عبثت عيناى بمحتويات المكتب · وجدت صورة لطفلين فى اطار مذهب كبيرهما يشبهه تماما · عندما كان صبيا · عندما قبلنى ، نظر الى وابتسم وقال انهما ولداه ·

قلت : كبيرهما يشبهك ، كأنها صورتك وأنت طفل ·

نظر الى قليلا هل تذكر ؟

قال : كل من يراه يقول هذا ·

قلت : ماذا وجدت بى ؟

قال : أعصاب متعبة قليلا ·· تحتاجين لراحة · بعض المهدئات والمقويات ·

قلت : لا أحب المهدئات · أفضل مشاهدة الافلام السينمائية ··

قال : معظم الأفلام الآن تزيد من التوتر ·

قلت : هذه التى للكبار فقط ؟

قال : للكبار والصغار ٠٠

الكبار هم الذين يقومون بالمنع وليست الرقابة ٠

قلت : كانوا من زمن لا يكتبون هذه العبارة على الأفلام ٠ كان

قال : الزمن تغير

قلت : وكان الصغار يغافلون الكبار ويشاهدون الفيلم الممنوع ٠

قال : الآن الفيلم الممنوع عليهم فى السينما ٠٠ يشـــاهدونه فى التليفزيون ، والفيديو ٠

قلت : الزمن تغير ٠

سرت خطوتين الى الباب ٠ سار خلفى ٠ قال « ايه » كما لو كان يتذكر اسمى ليستوقفنى ٠ هل تذكر ؟ نظرت الى عينيه قال بابتسامة صغيرة ٠ أن آخذ المهدىء والمقوى وأن أذهب اليه بعد أسبوع وانصرفت ٠

السـوسة

فى سكون الليل الهواء راكد فى الخارج ·· الأشياء صـامتة لا تتحرك ، الظلام فى الحجرة ·

هى : هل تسمع ؟

هو : ماذا ؟

هى : صوت سوسة تنخر فى الدولاب

هو : كيف عرفت ؟

هى : أرى أثارها · الدولاب قديم

هو : ورثته عن أجدادى · الخشب جيد

هى : الخشب تأكله السوسة

هو : فى الصباح سننظر فى الأمر ·

❋ ❋ ❋

فى سكون الليل ، الهواء منعش فى الخارج ·· الأشياء تتحرك منتشية · الظلام فى الحجرة ·

هى : هل تسمع ؟

هو : ماذا ؟

هى : السوسة

هو : نظفنا الدولاب معا

هى : نبيعه

هو : سأذهب لرجل اعرفه يجمع التحف القديمة

هى : القديم البالى ليس تحفة

هو : فى الصباح سأذهب

هى : سأبحث أنا عن أحد يشتريه

هو : دعى هذا لى ، لن أعطيه الا لمن يقدر قيمته

هى : ليس له قيمة الآن

هو : يجمع كل حاجياتنا ، والخشب جيد

هى : السوسة ستنتقل الى أشيائنا الجديدة ·

هو : فى الصباح سننظر فى الأمر

* * *

فى سكون الليل ، الهواء بارد فى الخارج · الأشياء تتحرك بعصبية ·

الظلام فى الحجرة .

هى : هل تسمع ؟

هو : ماذا ؟

هى : السوسة

هو : ذهبت للرجل الذى يقدر قيمته وجدته مات .

هى : لا أحد بدله ؟

هو : ابنه قال سيحول دكانه الى اشياء جديدة .

هى : سأبحث عن مشتر غيره .

هو : أنت لا تقدرين قيمته .

هى : صوت السوسة ينخر فى رأسى . أكاد أقع مثل رف الدولاب

هو : هل حقيقة وقع من نفسه ؟

هى : نخرته السوسة فوقع

هو : فى الصباح سننظر فى الأمر .

* * *

فى سكون الليل ، الهواء خفت حدة برودته ، الأشياء منتشية بكسوة البهجة . الظلام فى الحجرة .

هى : هل تسمع ؟

هو : ماذا ؟

هى : السوسة

هو : كان لا يمكن أن أبيعه لرجل لا يقدر قيمته ٠

هى : اكتشف السوسة ٠

هو : لكن الدولاب تحفة نادرة

هى : لا تعنى شيئا مادامت بالية

هو : لن أبيعه

هى : سيقع على رأسنا

هو : فى الصباح سننظر فى الأمر

* * *

فى سكون الليل ، الهواء راكد فى الخارج ، الأشياء صامتة لا تتحرك ٠

الظلام فى الحجرة ٠

هى : أخيرا سننام بعد عام كامل من ليال قلقة

هو : لم أتصور أنه سيقع يوما ٠

هى : جاء الجيران على صوت الارتطام وتعجبوا كيف تركنا شيئا هكذا فى بيتنا ٠

هو : لم أتصور اننى سأبيعه أنقاضا متهالكة ٠

هى : لا يهم المكسب ٠ المهم اننا تخلصنا منه ٠

هو : أريد أن أقول لك شيئا ٠ لم أذهب لأى رجل ليشتريه والذى جاء رشوته حتى يرفض شراءه ٠

هى : كنت تكذب طول الوقت

هو : كنت أعتز بوجوده

هى : كان يضايقنى وجوده

هو : الأب كان يوصى الابن بالدولاب أجيالا متعاقبة

هى : كان لابد أن ينتهى عند أبيك

هو : لم يكن أحد يجرؤ على التخلص منه ·

هى : لذلك كذبت ؟

هو : كذبة بيضاء

هى : لكنها عذبتنى

هو : آسف ··

هى : **رأيت دولابا كبيرا مثله ، جديد ولونه مبهج**

هو : فى الصباح سننظر فى الأمر ·



بعد خمسة عشر عاما التقيا أول لقاء كان فى حجرة رئيس مجلس ادارة البنك الذى تعمل به · هى كانت تعرض على رئيسها بعض الأوراق الهامة وهو كان قد طلب موعدا لمقابلة الرجل · عندما التقت نظراتهما كانت هى جالسة بجانب مكتب رئيسها وكان هو فى منتصف الحجرة فى طريقه الى الرجل الذى وقف ليستقبله وقد لاحظ تبادل نظراتهما وقال انه لن يقوم بمهمة التعارف بينهما · قامت وهى تقول لرئيسها انها ستعود اليه بعد انتهائه من المقابلة وهزت رأسها لتحية القادم بدون أن تمد يدها للســـــلام وخرجت مسرعة من الحجرة ·

بعد خمسة عشر عاما التقيا وكان اللقاء الثانى بينهما فى مقهى أحد الفنادق الكبيرة · هى لأنها تريد أن تعرف كيف أصبح بعد هذه السنين وربما بشعور داخلها للتشفى من فشله فى زواجه · وهو لأنه يريد أن يعيد ذلك الحب الذى كان بينهما بعد ان علم بفشل زواجها ·

فى مكان لقائهما وبصـــدفة غريبة كانوا يذيعون أغانى لمطرب فرنسى اشتهر فى ذلك الزمان وكانا يعجبان به · تعجبت انهم يذيعون مثل هذه الأغانى القديمة العـــاطفية فى مكان جـديد وكل الأماكن الجديدة تذيع الالحان الصاخبة الجديدة وكأنه هو الذى طلب منهم أن يذيعوها · يريد أن يذكرها ويوقظ حنينها الى ذلك الزمان الذى كان · وكان فعل ماض ·

قال : اخترت البنك الذى تعملين به لاتعامل معه ·

قالت : فهمت انك تعرف رئيسه ·

قال : خلال سنين ابتعادى عن الوطن كانت أشـــياء كثيرة تذكرنى بك وكنت كلما جئت فى زيارة أعرف أخبارك من قريبتى صديقتك ·

قالت : هى أيضا حدثتنى عن أخبارك ·

قال : أنت وصديقتك كما انتما لم تتغير صداقتكما ·

قالت : الصداقة الحقيقية لا تتغير بالرغم من تغيرنا ·

سألها : لماذا لم تخرجى من زيجتك بشىء ، بمكان ، بمال ؟

ابتسمت ساخرة وقالت : كنت أريد انقاذ نفسى وهذا لا يقدر بمال !·

قال : هذه جريمة ان تظلى هكذا بدون زواج خصوصا انك لم لم تنجبى ·

سألته : جريمة من ؟ جريمتى ؟ أم جـريمتك ؟ أم جـــريمة الظروف ؟

سألها : ما الذى جعلك تتزوجين مثل هذا الرجل ؟

قالت : أنت ٠

قال : هى جريمتى وقد دفعت الثمن باهظا من نفسى وقلبى ومالى ٠

ساد الصمت بينهما فأصبح صوت المطرب القديم واضحا ٠

قال وهو يشير الى مصدر الصوت : هل تذكرينه ٠ كم سعدنا بألحانه ٠ أحب أن أسمعه فهو يذكرنى بأجمل أيام حياتى ٠ عندى مجموعة كاملة لأغانيه ٠

ظلت صامتة ربما أراد أن يوقظ حنينها الى الماضى السعيد وهو لا يدرى انه يوقظ آلامها ٠ تحدث عن شقة صديقه الذى كان يريد أن يبيعها له بعدة مئات من الجنيهات ورفض وقتها لضيق المكان وعلم أخيرا أنه باعها بألوف الجنيهات لموقعها الممتاز ٠ تذكرت المكان بلا حنين الى ذلك الماضى يوم دعاهما صديقه وزوجته ليشاهدا الشقة وقالت انها ستجعلها جنة الى أن يستطيعا الانتقال الى مكان آخر كما فعل صديقه ٠ المهم ان يبدأ حياتهما معا ٠ ورفض فكيف يعيش كل يوم فى مكان ضيق يكتم أنفاسه وهو يريد أن يبدأ معها حياة الزواج فى مكان مريح واسع ٠

قال : مازلت أحبك ٠ وأنت ؟

قالت : أحببتك فى فترة من حياتى ٠ مضت ٠ كانت ومضت ٠

سألها : هل تكرهيننى ؟

قالت ! ذهبت الكراهية والغضب والحقد عليك ذهبت كل هذه المشاعر المحبطة مع الماضى ٠

قال : لنبدأ صفحة جديدة مادمت غفرت لى أخطائى ٠

نظرت اليه وتشاءمت · فتذكر ذلك الماضى يبعث على التشاؤم واعتبر نظرة التشاؤم فى عينيها ألما ·

قال : أريد أن أعتذر لك أمام كل العالم ·

قالت ساخرة : اكتب تصريحا فى الجرائد ·

قال : أريد أن أتزوجك ·

نظرت اليه وتشاءمت · انفرجت شفتاها عن ابتسامة لا معنى لها ، واعتبر الابتسامة على شفتيها فرحا ·

قال : اشتريت شقة واسعة فى مكان جميل كان يعجبك أريد أن أعوضك عن سنين عذابك ·

قالت : نعم تعذبت كثيرا · كنت تلهو وأنا أبكى لا أصدق انك فضلت أخرى على · يكفى اننى ارتميت فى أحضان أول من تقدم لى وتزوجته بدون أن أحبه · عشت سنين فى فشل وأنت مستمتع بحياتك كنت تلهو فى بلاد العالم الواسعة وأنا اختنق فى دائرة ضيقة ·

والآن بعد أن تركتك زوجتك تريد العودة لى ؟ كنت سببا فى مأساة حياتى ، والناس تتعب الى أن تتخلص من مآسيها وتحاول أن تنساها بعد ذلك · كيف تريدنى أن أعود اليك ويبقى أمامى كل يوم من يذكرنى بمأساتى ؟

قال : لست غاضبا من كلامك · كان لابد أن تقوليه · لكن فكرى فى طلبى سأكتب الشقة وكل ما تريدين باسمك ·

وتعجبت من مفارقات الحياة كانت تتمنى أن تعيش معه فى مكان صغير بالحب الذى كان فى ذلك الزمان والآن لا تريد المكان الواسع الثرى ·

سألها : لماذا أنت صامتة ؟

قالت : أتعجب من أحوال الزمن ٠

قال : لنصلح هذه الأحوال ٠

قالت : طلبك هذا جاء متأخرا خمسة عشر عاما ٠ كنت وقتها سأفرح ٠ أما الآن ٠ أنا لا أنتقم منك برفضى ٠ لكن الذى كان لن يعود ، ولن تعوضنى عن عذابات تلك السنوات ، لا أريد أن أحكيها حتى لا أعود اليها بسردها ٠

وانتهى اللقاء الثانى وهو يسألها ان تفكر بهدوء فى طلبه ٠ تماما كما كان يفعل فى الماضى ٠ يطلب رقمها فى الهاتف ويسألها أو يأمرها أن تقابله ٠ يفعل هذا الآن ٠ لكنها ليست كما كانت ٠ ليست مشتاقة ولا راغبة فى مقابلته ٠ غريب هذا الرجل هل يظن أنها مازالت تجلس بجوار الهاتف فى انتظار مكالمته ؟ كأنها تنتظره منذ خمسة عشر عاما ؟ انها لم تعد تحتمل منطق هؤلاء الرجال ٠ يعتقدون انهم مسيطرون على قلوب النساء يجدونهن وقتما يشاؤون ولا يتذكرون الاساءة اليهن أو خيانتهن أو الاختفاء عنهن سنين ٠

سألتها أختها عن هذا الذى يطلبها فى الهاتف ولا تريد أن تقابله ٠ ولما قالت لها عنه سألتها : هل ستبقين هكذا بدون زواج ؟ قالت لها أنها تعذبت فى زواج غير موفق ولا تريد أن تكرر المأساة ، وستتزوج عندما تجد الرجل المناسب ٠ ولما قالت لها أختها متعجبة أن هذا الرجل الذى عاد كانت ستتزوجه فى الماضى فلماذا ٠٠ لا ٠٠ الآن ٠٠ ؟ قالت أن الذى خانها فى الماضى يحتمـــل أن يخونها فى المستقبل وعلى أى حال لم يعد له فى قلبها مكان ٠

سألتها زميلاتها عن هذا الرجل الذى يأتى الى مكتبها كثيرا ويجلس بالساعات ٠ قالت لهن أنه أحد عملاء البنك الجدد وعلقت احداهن بخبث انثوى أنه عميل ذو وضع خاص ٠

سألتها صديقة لماذا لا تستفيد من عودة الرجل الذى كان يحبها ؟ فقد عاد نادما مستعدا للتعويض عن سنين فاتت · لكن بمجرد ظهوره داهمتها أضغاث الأحلام · ظهرت لها عذابات من الماضى وتقوم مذعورة من نومها تستعيذ بالله من الشيطان ·

سألها رئيس مجلس الادارة هل تعرف هذا الرجل معرفة جيدة ·· اجابته « لا » نظر اليها متعجبا وقال أنه علم انها كانت مخطوبة له منذ خمسة عشر عاما · قالت لرئيسها ان الناس تتغير ·

سألها : « لماذا ·· لم » ثم صمت قليلا وقال :

« لاداعى لسؤال مر عليه سنون طويلة المهم كنت أريد أن أعرف اذا كنت تعرفينه جيدا لأنه يريد قرضا ماليا كبيرا بضمان مشروع ينوى انشاءه ، وأنا لست مطمئنا اليه فهو يتحدث عن مشاريع كثيرة · طلبت منه ضمانا ماديا أو من شخصين لهما رصيد كبير فى البنوك فلم يقدم شيئا » ·

قالت : لا أعرفه جيدا · بل لم أعرفه على الاطلاق · كان يحتفل معى بعيد ميلادى وكنا سعيدين فى ذلك اليوم وشعرت انه الشاب الذى سأقضى معه كل حياتى فى سعادة · بعد أيام قليلة شاهدت صورته مع عروسه فى احدى المجلات المصورة فى صفحة المجتمع · اعلان مصور عن زواجه · لم أصدق وقلت الأسماء تتشابه والوجوه أيضا · طلبت صديقتى قريبته وقلت لها ضاحكة عن تشابه الأسماء والوجوه فيما شاهدته وقرأته فى المجلة · قالت بحزن ·· انه ·· هو أرادت أن تخفف عنى الصدمة فأخبرتنى انه تزوج من اختارها له والده بعد أن هدده بحرمانه من الميراث اذ تزوج غيرها · لم أصدق فلم يكن ذلك الميراث يستحق تضحيته بحبه ·

ظهر التأثر على وجه رئيس مجلس الادارة وقال : اذا كنت نجحت فى زواجك ما كنت تأثرت من هذه الحكاية ·

قالت : هو أيضا فشل فى زواجه كما تركنى من أجل المال تركته زوجته لتتزوج بمن هو أغنى منه واختارت ابنته الحياة مع والدتها ٠

قال الرجل : فجاء يطلب منك العودة اليه ٠

نظرت اليه بدهشة ، ابتسم وقال : هذه تصرفات مثل هذا الرجل لكن المهم أنت ٠٠ هل ٠٠ ؟

قالت مقاطعة : لا ٠٠ لا طبعا ٠

قال : لن أعطيه القرض الذى طلبه ٠ ليبحث عن بنك آخر ٠

قالت : لا أحب أن أكون سببا فى ايذائه ٠

قال : قلت لك اننى لسـت مطمئنا اليه قبل أن أعرف هذه الحكاية ٠ وبعد حوادث النصب المشهورة التى حدثت فى البنوك أخيرا لى الحق فى رفض أى طلب قرض أشك فيه ٠

أيضا لم يقدم للآن أى ضمان حقيقى وأنا لا أحب أن أفقد سمعتى ولا مركزى ٠

قالت : فهمت انك تعرفه بترحيبك به فى أول مقابلة ٠

قال : لا أعرفه ، صديق لى هو الذى أرسله ٠ كنت أرحب بصديقى فى شخصه لكنى لن أجامل صديقى على حساب عملى ٠

بعد خمسة عشر عاما التقيا ، وكان آخر لقاء أمام البنك الذى تعمل به هى استأذنت لتخرج قبل موعد الانصراف لتذهب الى أختها فى المستشفى التى دخلتها فى الصباح لتضـع مولودا ، وهو جاء ليقابل رئيس مجلس الادارة سائلها ٠ اذا كانت تحتاج الى سيارته ليوصلها ، شكرته وقالت كاذبة ان لها سيارة خاصة ٠



لـماذا صمتت عن الكلام ؟

قالت لخطيبها انهما لابد أن يتزوجا فى الشهر القادم · أجابها بهدوء · « ان شاء الله » · غاظها هدوءه فقالت له ان الموضوع يحتاج لبعض الحماس ولم يرد · تماسكت حتى لا تنفعل وتقول له انها ضاقت من الانتظار ·· خمس سنوات الى أن استطاعا أخيرا أن يجدا شقة فلماذا الانتظار ؟! حقيقة الشقة التى دفعا فيها ألوف الجنيهات لابد من استكمالها لتصلح للسكن الآدمى · الحجرات بدون ابواب · الحمام بدون أدوات · والجدران كلها تحتاج الى طلاء · لكن بشىء من الحماس يمكن استكمال هذه الأشياء سريعا · لقد سلمهما مالك العمارة الجديدة شقة على هذه الصـــورة ماداما متعجلين ·

خمس سنوات ومتعجلان ؟!!

من تجاربهما السابقة لم يترددا · ففى الأيام الأولى لخطوبتهما السعيدة حجزا شقة فى عمارة جديدة فاخرة على وشك الانتهاء ،

وبعد عام من الانتظار قرر مالك العمارة أن يحولها الى فندق حديث وأعاد لهما نقودهما • وفى العام الثانى عثرا على رجل طيب أعلن فى الجرائد انه يساهم فى حل أزمة الاسكان ببناء مجمعات سكنية فى موقع ممتاز • هرعا اليه واختارا شقة على خريطة مشروع البناء دفعا ما طلبه الرجل الطيب وانتظرا • طال انتظارهما ثلاث سنوات ، زياراتهما الى شركة هذا الرجل الطيب مئات المرات ارتفعت عمارة سكنية واحدة من مشروعه لكنها كانت محجوزة لشـــباب مثلهما حجزوها قبلهما ولما كثرت الشكاوى من الحاجزين فى عمارات هذا المشروع الوهمى لأقسام الشرطة اكتشفوا أن الرجل نصـــاب ولن يكمل بناء مشروعه وهرب بأموال الكادحين من الشباب • استطاع رجال الشرطة أن يعثروا عليه • حجزوا على أمواله فى البنوك •

وللمرة الثانية تعود لهما نقودهما لكن بعد عذاب • وأخيرا فى العام الخامس لخطوبتهما المملة استطاعا أن يحصلا على هذه الشقة واستلماها على هذه الصورة الغريبة •

لقد بدأ خطيبها فعلا فى الاصلاح ، لكن العمال يتلكأون فى العمل ، يذهبون يوما ويغيبون يومين • وأرجعت اهمال العمال الى عدم حماس خطيبها وهدوئه معهم • وأحيانا تفكر أنه لم يعد يحبها . ويزيد قلقها بمرور أيام الشهر لأنها تريد أن تترك منزل العائلة فى الشهر القادم ، لعدة أسباب • فأخواها سيعودان من أجازتهما الشهر القادم ، أحدهما متزوج وله طفلان ويعيشون فى نفس المنزل أو على الأصـــح فى نفس الشقة وهى قد ضاقت بحياتها فى بيت العائلة ، خصوصا بعد رحيل والديها منذ عام • خلال شهور ثلاثة رحل العزيزان • سألها الشقيقان قبل سفرهما • لماذا لا تتزوج فى بيت العائلة ويعيشان معهم فالشقة واسعة ، والى أن تتم شقتها الجديدة؟ رفضت بضيق وقالت لهما بثقة انها ستتزوج الشهر القادم فى شقتها الجديدة • ولأن الشهر القادم من أجمل شهور السنة بعد شهور

الصيف الحارة · فهى تريد أن تبدأ حياتها الزوجية فى جو لطيف · **وأهم الأسباب انها لا تستطيع ان تستقبل شتاء آخر فى وحدتها** ، لا تستطيع · أم · لا تريد ؟! · كثيرا نقول اننا « لا نستطيع » بدلا من قولنا « لا نريد » ·

لقد شاهدت وسمعت عن الذين ابتلوا مثلها بخطبة الخمس **سنوات ولم تتم زيجاتهم بسبب تراكم المشاكل من طول فترة** الخطوبة ، وهى لا تريد أن تضيع من عمرها خمس سنوات هباء · **تريد أن يتم الزواج بأى طريقة فى الشهر القادم** ·

ضايقها هدوء خطيبها · وعندما طالبته خلال ثورة ضيقها أن يخرج عن هدوئه ويثور على العمال لينتهوا من عملهم ليبدآ حياتهما معا فى الشهر القادم خرج فعلا عن هدوئه وثار عليها هى · أنه **لا يستطيع أن ينفذ شيئا وهو يشعر بسياط على ظهره** ، وتعجب **من اصرارها على الزواج فى الشهر القادم** ، لم ترد أن تقول له الأسباب ، وبكت ·

قال لها أن كل شىء جيد هو الذى ينتهى جيدا وهذه الشقة **التى وجدها اخيرا هى شقة عمرهما والأفضل أن ينتهى كل شىء فيها نهاية جيدة حتى يبدأ حياتهما** بدون منغصات · اقتنعت بكلامه لكنها فى نفس **الوقت أرادت أن ينتهى** كل شىء سريعا حتى يتزوجا الشهر القادم ، كل يوم تذهب لتحث العمال على العمل كأنها تمتطى **جوادا فى سباق مع الأيام تريد أن تصل** الى نهاية السباق فى نهاية الشهر ·

لكن الشهر انتهى ولم تنته الشقة ·

فى مساء آخر يوم من الشهر طلبت خطيبها فى منزل عائلته وسألته **أن يتناولا طعام الغداء فى مطعم يفضلانه** ، **لأنها** تريد أن تتحدث معه فى شىء هام · قررت أن تحدثه بهدوء وتقنعه بأسلوب

أنثوى ماكر أنها لم تعد تستطيع تحمل الحياة بعيدا عنه • تقنعه أن ينفذ قرارها فى هذا الشهر كما أخبرته فى الشهر الماضى • لايهم أن يعيشا فى حجرة الى أن تتم بقية الحجرات •

بعد أن وافق خطيبها على موعدهما فى الغد نظرت فى المرآة فوجدت أنها أهملت العناية بنفسها •• وجهها مجهد من القلق • شعرها ليس منظما • غسلت رداء ترتاح اليه وهى ترتديه وقد أعجب به خطيبها يوما • انتظرت الى أن جف وقامت بكيه • هذبت أظافرها وطلتها بطلاء وردى • أخذت حماما ساخنا اتنتعش ويهدأ قلقها •

فى الصباح قررت أن تصلح من شأن شعرها وتصففه • لم ترد الذهاب الى محل تصفيف الشعر فى الحى الذى تسكنه انها تريد أن تترك الحى كله • لم تعد تطيقه وكذلك تضايقت من ضـــــيق المحـــــل ، تريد أن تذهب الى محل نظيف ومضـــىء ، فهـــذا ســـيرفع من معنوياتها التى انخفضـــت فى الشـــهور الأخيرة • بل فى هذه الســـنة الأخيرة • قررت الذهاب الى المحـــل الذى ذهبت اليه مع صـــديقة لها فى الحى التجارى بالمدينة منذ خمس سنوات وبالذات قبل أن تتعرف على خطيبها بثلاثة أيام • كانت مبتهجة بتصفيف شعرها هناك قررت أن تذهب الى هذا المحل ربما تستعيد الذكرى بهجتها وشكلها •

ارتدت رداءها النظيف واعتنت بوضع « المكياج » على وجهها ارتدت حذاء لا ترتديه الا فى المساء • حملت حقيبة يد تناسبه • عقصت شعرها خلف رأسها واطمأنت الى أنها بعد عدة ساعات ستستعيد بهجتها بعد تصفيف شعرها •

الطريق مزدحم بالســـيارات • لقد انتهت الأجازات وخرج الناس الى أعمالهم أو الى الحى التجارى للشراء استعدادا لدخول الأبناء المدارس • بصعوبة وجدت سيارة أجرة والمسافة من منزل عائلتها الى هذا الحى عشر دقائق قطعتها السيارة فيما يقرب من

الساعة · لم ترد أن تسير هذا المشوار فى حرارة الجو حتى تحتفظ برونقها · تصـــبب منها العرق ! لتتحمل · ستصل بعد قليل الى محل نظيف ومضىء وتقص شعرها وتصففه لكى تصبح الانسانة الأخرى تلك التى أعجب بها خطيبها وأحبها منذ خمس سنوات ·

عندما وصلت أخيرا الى مقصدها وجدت المحل خاليا · لم يعد نظيفا ولا مضيئا كما كان · استقبلتها عاملة مبتسمة وقالت لها أن صاحب المحل مريض منذ شهور ·

وقفت حائرة فى الطريق · نظرت فى ساعتها ، وبقى أمامها ســـاعتان كى تلتقى بخطيبها · لا تريد أن تقابله وهى على هذه الصورة · هداها تفكيرها الى محل آخر فى نفس الحى كانت تتردد عليه فى وقت ما ·

حقيقة المحل صغير وليس مضيئا لكنه على أى حال نظيف يمتلكه زوجان ايطاليان · سارت مسرعة الى المكان وجدته مزدحما بالأجنبيات اللاتى يفضلن أبناء عمومتهم للعناية برؤوسهن · جلست تنتظر دورها · دارت عيناها بين رؤوس النساء المغطاة بالصبغات أو تحت مجففات الشعر · شعرت باختناق · قامت مسرعة · خرجت ·· أين تذهب لتصفف شعرها ؟! سارت · وجدت نفسها بجوار مصفف شعر مشهور تعرف أن المترددات عليه من شهيرات الشاشة الكبيرة والصغيرة ومجتمع النوادى الرياضـــية والليلية · طبعا ستكون نكرة بين هؤلاء النساء ولن تجد العناية الكافية برأسها ، وأيضا أسعاره مرتفعة وهى تحتاج لكل قرش معها الآن لاحتياجات بيتها ·

سارت · قررت أن تذهب الى شقتها الجديدة لترى ماذا يفعل العمال وتلقى عليهم ببعض الملاحظات · ثم تذهب الى موعدها مع خطيبها ، كانت تتمنى أن تقابله بشكل جديد مبهج بتصفيف شعرها ·

لكن ماذا تفعل ؟! • تذكرت مصفف الشعر الذى عرفته صبيا • أجاد هذا الفن ولما كبر تزوج زميلة له وافتتح محلا فى الحى المجاور لشقتها الجديدة وقد اتصل بها فى عملها منذ عامين ودعاها للافتتاح •• ولما حصلت على شقتها الجديدة ذهبت اليه وأخبرته انها ستعود لتكون زبونة لديه • وقد أعجبها المكان لأنه نظيف ومضىء نظرت فى ساعتها بقيت ساعة ونصف الساعة على مقابلة خطيبها لا وقت لتصفف شعرها •

أشارت الى سيارة أجرة كان بها امرأتان فى المقعد الخلفى قالت للسائق عن وجهتها فى الحى الذى تقع فيه شقتها • فقال لها انه سيوصل السيدتين الى حى مجاور ثم يوصلها • وافقت •• أرادت أن تهرب من الطريق الســــاخن • لقد بدأ رداؤها النظيف يتكرمش • جلست سارحة فى السيارة ولدهشتها وجدت نفسها فى الحى الذى به المحل الذى فكرت فيه أخيرا وعدلت عن الذهاب اليه • فرحت وقالت فى نفسها أن العناية الالهية قد قادتها الى هذا الحى لكى تصفف شعرها وتهذبه وتظهر فى صورة جميلة لخطيبها فتستطيع أن تحدثه بمرح وتقنعه بضرورة اتمام زواجهما فى هذا الشهر • قالت للسائق انها ستنزل أيضا فى هذا الحى لتذهب الى مشــوار كانت تؤجله فقال الرجل « ان كل شىء نصيب » •

سارت مســـرعة • كادت أن تقع استعادت توازنها ووقفت مذهولة أمام المحل المغلق لتقرأ ما كتبه صاحبه انه فى أجازة وسيعود بمشيئة الله فى نهاية الاسبوع •

سارت الشمس أصبحت عمودية • حارقة • رداؤها النظيف التصق بجسدها من العرق • وحذاؤها الذى لم تتعود السير به لمسافات طويلة ، ضاق على قدميها من الحرارة ، وأصاب الصداع رأسها • وقفت قليلا أو كثيرا لم تعد تدرى الى أن ظهرت سيارة

اجرة خالية · أشارت · وقالت للسائق عن مكان المطعم الذى ستقابل فيه خطيبها ··

جلست ساهمة فى السيارة وهى على هذه الحالة المزرية من التعب والصداع والعرق · فكرت · لقد أرادت بكل قوة ارادتها وحماسها أن تصفف شعرها وقطعت هذه المشـــاوير الطويلة ولم تصفف شعرها · ! · شعرت أن السماء تؤكد لها أن لا شىء يحدث مهما كان بسيطا الا بارادة السماء ·

جلست أمام خطيبها فى المطعم قالت له أنها عطشى · طلب لها كوب ماء · سألها أين كانت فبدا عليها كل هذا الارهاق ؟ · لم ترد على سؤاله · طلب لهما الطعام · وسألها ماهو الشىء الهام الذى تريد أن تقوله · ؟ ·· لا شىء ·· هكذا قالت ·· فكر أنها ربما أرادت أن تتناول طعام الغداء فى هذا المطعم لتغير من روتين الحياة اليومية وخافت أن يعتذر ، فقالت له انها تريد أن تقول له شيئا هاما ·· ابتسم وقال لها بالرغم من أنها مرهقة الا أنها تبدو جميلة ·· تنهدت ·· ولأول مرة منذ شهور طويلة تشعر باطمئنان ·

حلم طبيب البحر

انتهى الطريق الصحراوى واتجهت ســـيارة الأتوبيس الى طريق الجبل • سقط قلبى ونظرت الى الراكب بجانبى ، وجدته مازال منهمكا فى القراءة ، لم يلتفت الى الجبل والبحر وطريق مثل حد السيف • السيارة كبيرة على هذا الطريق أو هكذا خيل الى وتمتمت باســـم الله أن يحمينا عند منحنى مكتوب أمامه منحنى خطر •

قالوا لى الرحلة متعبة ولم أهتم • قالوا لى ستذهبين الى مكان لا يستطيع الحياة فيه سوى الرجال وضحكت • قالوا لى لاداعى للذهاب أخاك فى صحة جيدة كانت وعكة برد • وصممت • قالوا لى هناك طبيب ذكروا لى اسمه وامتعضت • حملت سماعتى الطبية وملأت حقيبتى بالأدوية • أخى محتاج الى •

السماء ليس بها سحابة وشعاع الشمس يدخل خلال زجاج السيارة ويدفئنا • من الذى وجدوه يحمل مصباحا فى ضوء الشمس

ويبحث عن انسان ؟ فيلسوف أم شخص عادى · فى كل عصر يوجد هذا الشخص الذى يضحك منه الناس ·

أصبحوا يضحكون منى لأنى أحمل مصباحى فى ضوء الشمس · اضحكوا كما تشاءون فليس هناك قانون يمنع الضحك ، لكنى سأظل أحمل مصباحى وأقربه من وجوهكم فى ضوء الشمس · قالوا سينحنى ظهرك ويضيع وقتك وأنت تحملين مصباحك لابد أن تقبلى الواقع وما نقدمه لك · عاندتهم وثاروا · تركتهم فى ثورتهم وقلت لهم أخى يحتاج الى · والحقيقة أنا التى احتاج اليه ·

بعد ساعات من الطريق المتعرج سحبت حقيبتى ونزل معى من السيارة اثنان · ما هذا المكان ؟ · ليس قرية ولا مدينة · مجرد قطعة من الأرض فوقها بيوت صغيرة ونادى للعاملين · أين يسكن أخى المهندس · لا أحد يتوه هناك ·

سألنى أخى ·· لماذا جئت ؟

– حضرت لأراك · قالوا انك مريض ·

وضعت حقيبتى شعرت اننى مع غريب مريض جئت أزوره · وسألته أن يتمدد على فراشه لأكشف عليه · فى هذه اللحظة فقط تذكر اننى أخته واحتضننى · وقال لم يكن يفكر أن أحداً سيسأل عنه · قال ان الطبيب اعتنى به · وسألت عن مكان الطبيب ·· خرجنا من الباب وأشار بيده الى بيت صغير متطرف من قطعة الأرض · هناك الطبيب وعيادته · حتى المكان الذى اختاره متطرف مثله · متغطرس متعال فوق أرض مرتفعة قليلا فى مواجهة البحر ·

قال أخى : « اذا لم يكن لديه عمل ستجدينه ينظر الى البحر ·· اننا نسميه هنا « طبيب البحر » ·

كان يسبقنا بأعوام لا انسى نظرته الساخرة منى ومن زميلاتى

وهو يقول المرأة لا تصلح للطب · لم أعرف وقتها اذا كان كلامه ذما أم مدحا وذهبت اليه لأقول له اننى لم ألق بسماعتى وأبحث عن زوج كما قلت لى فى يوم بعيد وكما يقولون لى الآن فى البيت ·

ضربت عدة ضربات على الباب · لم يرد · فتحته ودخلت · حجرة العيادة · خالية · حجرة النوم · خالية · سرت خطوات الى مكان مثل شرفة كبيرة وجدته جالسا فوق مقعد ويمد ساقيه الطويلتين على مقعد آخر وينظر الى البحر ·· تماما كما قال لى أخى ·· التفت الى فى محاولة ليتذكر وجهى · وكانت نظرته مذعورة أو متعجبة · وقف وسألنى ·· لماذا جئت ؟

ياسماء · هل هذا المكان قتل شعور الترحيب فيهم ؟

ـ جئت لزيارة أخى · كان مريضا ·

قال متهكما ـ وعالجته !

ـ أخبرنى انك عالجته · أشكرك على عنايتك به

لم يجد شيئا آخر يقوله حتى يده لم تمتد بالسلام · قدم لى المقعد الذى كان يجلس فوقه وجلس فوق الآخر الذى كانت عليه قدماه · بدأت فى قطع حصار الصمت ·

ـ كيف تعيش هنا ؟

ـ كما ترين · جبل وبحر وناس أعتنى بهم وأحبهم ·

ـ وعندما لا تجد ماتفعله ؟

ـ أنظر الى البحر ·

ـ هل تعرف انهم يسمونك هنا طبيب البحر ·

لم يعلق ٠٠ لم يبتسم وصمت ٠ نظرت الى عينيه أول مرة أرى لونهما ٠ أزرق ٠ هل اصبح لونهما هكذا من تطلعه الى البحر ؟ سألنى هل أشرب قهوة ٠ لم ينتظر اجابتى وذهب ليعدها ٠ نظرت الى البحر ٠٠ فكرت أن أكتب شعرا ٠

بعد لحظات جاء مبتسما وقال ألا أضحك من قهوته السوداء ٠ أول مرة أرى ابتسامته وانقشع الصمت ٠

كثرت كلمات الأسئلة ٠ وطالت كلمات الأجوبة ٠ احك عن سر هذا الألم فى عينيك ٠ احك لى عن سر منفاك الاختيارى أربع سنوات على هذه الأرض ٠ احك لى وان كانت القصة طولها دهر ٠ وشعر بما يدور فى رأسى ٠ ارتاحت عضلات وجهه المشدودة ، وهذا التحدى الذى جئت به اليه ٠

حكى عن صدمة فى حياته العاطفية وصدمة أخرى فى حياته العملية فأختار هذا المكان حتى يشفى تماما ويعود الى بلده وناسه معافى ، وقد تغلب فعلا على شعوره بالفشل بحب هؤلاء الناس الذين يعالجهم فى هذا المكان البعيد عن العمران ٠ من سمع كذبات كثيرة يمكنه أن يتعرف على نبرات الصدق ٠ من الذى قال نضـــرة الوجه فى الصدق ٠ نبى أم شخص عادى ؟ لا أســـتطيع أن أتذكر أسماء من أقرأ لهم وعنهم ٠ كثيرا ما أقرأ فى الكتب الأدبية حتى أستريح من كتب الطب ، لكن انشغال تفكيرى بعملى يجعلنى أنسى من قرأت لهم وا نكانت ذاكرتيتحتفظ ببعض العباراتالتى تستوقفنى وتعجبنى ٠ وجدت نفسى أحكى له ما عجزت أن أقوله لأخى ٠ رأيت اهتمام نظرته فحكيت ، وقربت مصباحى من وجهه فى ضوء الشمس هل أنت من أبحث عنه ؟ ٠ ارتجفت يدى بمصـــباحى خفق قلبى وابتعدت عنه ٠ وقفت فى ركن من الشرفة أنظر الى البحر ٠

اقترب منى ٠ قال :

– فى ليال كثيرة أحلم بسمكة تخرج لى من البحر ٠ عيناها مستديرتان مثل عينيك وعندما ألقيها الى البحر تحاول أن تجذبنى معها ٠ تختفى لليالى وتعود الى ٠٠ عندما وجدتك أمامى فى الشرفة نظرت الى عينيك وخفت أمد يدى لأسلم عليك ٠

ابتعدت عنه وسألته ٠٠ هل ستلقينى فى البحر ؟

قال – لا تخافى ٠٠ الانسان لا يلقى بحلمه فى البحر حتى وان كان سمكة ٠

اضطربت قليلا ٠ ربما وجد انه تسرع فى الحديث فسألنى عن أخبار زميلاتى الطبيبات ومن منهن تزوجت وتركت مهنة الطب ٠ عندما بدأت أحكى سمعنا ضربات قوية على الباب وأصوات تنادى الطبيب ٠ جرى اليهم وجلست أنظر الى البحر ٠ فى هذا المكان لا يستطيع الانسان أن يبعد عينيه عن البحر ٠ كم من المرات فكرت أن أكتب شعرا وانشغلت بمهنتى عن كتابة الشعر ٠

جاء الى وقال بهدوء أفزعنى انه سيضطر أن يقوم باجراء عملية لرجل وجد زائدته الدودية فى خطر ولا يستطيع أن يجازف ويرسله الى المستشفى فى المدينة القريبة ربما تنفجر زائدته الدودية فى الطريق ٠

سألته بفزعى ٠٠ كيف هنا ؟ وسألنى بهدوئه أن اقف معه ٠ تذكرت ان تخصصه فى الجراحة وسرت بجانبه صامتة الى حجرة العيادة ٠ اضطربت لأنها لا تصلح حجرة عمليات لكن الأمر الواقع يفرض علينا أن ننقذ المريض وان كان المكان صحراء جرداء ٠

بمهارة حقن المريض بالمخدر ، نسيت اضطرابى وأنا أراقب مهارة يديه ٠ لا يظهر من وجهه سوى زرقة البحر ، ولا يظهر من وجهى ســــوى عينى المبهورتين ، كلما نظر الى أعرف ماذ ايريد وأناوله له ٠ ومرت اللحظات الثقيلة ٠

عاد الهدوء واطمأن الطبيب على مريضه وتركه مع رجل تبرع بالمبيت وخرج معى · سرنا تجاه البحر · جلسنا فوق صخرة يلفنا الليل ونسماته الباردة · مر اليوم ولم أشعر · سألنى هل أعجبنى الطعام الذى طهاه لى ··

قلت – كنت رائعا فى الجراحة · والطهو ··

ثم سألته – هل مازلت تريدنى أن ألقى بسماعتى وأبحث عن ·

– أريدك أن تحملى السماعة وتبقى معى ·

– سأعود غدا فى سيارة الصباح ·

– كنت أعرف أن السمكة ستجذبنى معها يوما الى البحر ··

ضمنى الى صدره · ارتاحت رأسى على صدره والتقت الشفاه بحنان لم أعرفه من قبل · من الذى قال الحنان أقوى من القسوة والماء أقوى من الصخر ·· كاتب أم شخص عادى ؟!

حكايــة أليمــة

جلس الرجل منهارا تماما لا يصدق أن المرأة التى أحبته أكثر من عشرين عاما حكم عليها بالسجن ثلاث سنوات ، فى محاكمة سريعة لم يترافع فيها محام واحد · شعر بالذنب نحوها ، لابد أن يخرجها من هذا المأزق الذى تورطت فيه وطلب من معاونه فى مكتب المحاماة ألا يزعجه بطلب لأنه مشغول بقراءة أوراق قضية هامة · قضية حياته ·

منذ الصباح الباكر وهو يقاوم دموعه ، لقد ذهب اليها فى سجن النساء وعرف منها حقيقة الحكاية ·

لنترك هذه الحكاية الأليمة قليلا ونلقى نظرة على حكايتهما معا ، وان كانت أيضا أليمة ·

كانت الفتاة مثل ملايين الفتيات فى العالم لا تتمتع بالجمال وفى أسرة مثل ملايين الأسر فقيرة · لم يهتم الوالدان بتعليمها وأخواتها الثلاث بعد المرحلة الاعدادية الضـــرورية ليعـــرفن مفاتيح اللغة

والقواعد البسيطة للحساب · أخواتها الثلاث كن أجمل منها قليلا وتزوجن فى سن صــــغيرة ليتخلص الأب من أعبائهن ، وبقيت هى تخدم والديها الكبيرين اللذين أصبحا مريضــــين · معالم الدنيا تنحصر فى الحى الشعبى الذى تسكنه ، وأخبار العالم تنحصر فيما تعلنه الجارات وما تسمعه فى الاذاعة من تمثيليات ·

لما رحل المريضان فى فترة زمن متقاربة ، وجدت نفسها وحيدة فى هذا العالم · بشهادتها الدراسية البسيطة استطاع جار لها شاب فى العمارة المجاورة أن يجد لها عملا فى أحد مكاتب البريد فى الحى · وهذا الشاب هو الرجل الذى جلس منهارا تماما لا يصدق أن المرأة التى أحبته أكثر من عشــــرين عاما قبض عليها بالخطأ مع عدة ساقطات ·

كان هو أيضا شاب لا يتمتع بالجمال · قصير القامة ، يميل الى السمنة وفى وجهه المستدير غضون وحفريات من أثر مرض قديم فى حبوب أهمل علاجها ، وجهه مثل وجه القمر الذى شاهده العلماء خلال عدساتهم المكبرة المقربة ، ومثل الصور التى صوروها · كله نتوءات وحفر ·لكن الفتاة رأت وجهه عن بعد كما يرى العشاق القمر بدرا جميلا وكما يتغنى به الشعراء · لا كما يراه العلماء · كانت تراقبه من نافذتها ، وكان وجهه المستدير بسمة الأمل الوحيدة التى تنير حياتها ·

تقربت الفتاة لأم الشاب فى غيابه ، هذه التى عطفت عليها بعد رحيل والديها ودفعت ابنها ليجد لها عملا يساعدها على الحياة ·

الذين لا يعرفون الرجل عن قرب يعتقدون انه « وحيد أمه » والحقيقة هو الطفل الأصغر لولدين وبنت · رحل أباه وهو مازال طفلا وترملت أمه وهى فى ريعان الشباب · كانت أمه هى كل عالمه وأجمل الجميلات ، وهو فى سن العاشرة أراد أحد أقاربها الزواج

منها فبكى الصغير بحرقة على صدرها وقال لها اذا أرادت الزواج فلتتزوجه هو ٠٠ ضحكت الأم وطمأنته انها ستعيش له مدى الحياة ٠٠ربما تلك الحادثة تفصح عن حب الصبى الشديد لأمه وتكونت لديه عقدة « أوديب » هذه العقدة التى لم تلتفت اليها الأم لأنها لم تعرفها بل عمقتها بحبها الشديد له ٠ ملامحه صورة طبق الأصل من ملامح أبيه ٠ لم يرث بعض جمال أمه كما ورثه أخواه وأخته ، وربما لهذا السـبب تعلقت به الأم لأنه يذكرها بوجه الحبيب الراحـل خصوصا عندما أصبح شابا ورجلا ، فقد كانت أحيانا عندما تراه مقبلا عليها تعتقد انه زوجها فترتجف لحظة للذكرى التى يبعثها ، حتى مهنة الأب قررت الأم ان يزاولها ابنه شبيهه ٠ وظلت طوال سنوات تدفع ايجار مكتب المحاماة المغلق وتنظفه الى أن انتهى ابنها من دراسة الحقوق وتدرب فى مكتب أحد المحامين الكبار ، ثم فتح مكتب والده المغلق من سنين ٠

لم تهزمه قضية ترافع فيها ، لم تصبه الخيبة والانهيار الا عندما وجد نفسه أمام هذه القضية التى لابد أن يخرج منها هذه المرأة التى أحبته أكثر من عشرين عاما ، هذه القضية المشينة لبيت دعارة ٠

لقد توطدت صلة الفتاة بأم المحامى الشاب ، أما هو فلم يكن يعيرها التفاتا ، لقد قرر ألا يتزوج حتى يبقى بجوار أمه بعد أن تزوج أخواه وأخته ، وحتى لا يجلب لها امرأة تسـتولى على سلطانها فى بيتها ، لم يشعر انه فى حاجة الى حب أخرى غير أمه ، وعندما كانت تثور رجولته كان يدفع ثمن ساعات من الحب الزائف٠ لم يعرف معنى الحب الطبيعى ، فلم يهتم بمشاعر الفتاة ٠ وحدث أن مرضت أمه فجأة فلازمتها الفتاة ترعاها فى غيابه وحضوره . ولاحظت الأم تعلق البنت بابنها ، وأن عنايتها بها ما هى الا تعبير عن حبها له ٠ مادامت فتاة بسيطة وليست جميلة فهى لن ترهقه

بالطلبات وستخدمه باخلاص ، لذلك حدثت ابنها عن ضرورة زواجه وحدثته عن مميزات جارتهم ، فلابد أن يجد من يرعاه بعدها ٠ انزعج الشـــاب من حديث أمه ، فهى لأول مرة تحدثه بجدية فى الزواج ودعى لها بطول البقاء ، وابتسم بسخرية فى نفســـه فهل يتزوج من هذه الفتاة التى لا تتمتع بالجمال ولا التعليم وهو فى طريقه لتحقيق شهرة ومكانة فى المجتمع ؟! ٠ لكن عندما رحلت أمه لم يكن أحد بجواره سوى هذه الفتاة ٠ انهار بدموعه على صدرها ، وكانت لحظة فى حياتها لا تنسى ٠ لحظة سعادة نادرة ومريرة ٠

أمام حزنه الهستيرى كانت مشاعرها مختلطة بالحزن والحب والألم والسعادة ٠٠ فها هو حبيبها رأسه ٠ على صدرها تحتضنه بكل قوة مخزون حبها ، وهو يهذى فى انهياره ٠٠ من التى ستحبه مثل ما كانت أمه تحبه ٠ من التى ســـترعاه بعد أمه ٠ من التى ستطهو له طعامه ؟! ٠٠ كانت الفتاة تهمس كأنها تهذى أيضا ٠٠ « أنا ٠٠ أنا ٠٠ أنا » كاجابة على أسئلته ٠ سمعها وهى تقول ٠ أنا ٠٠ وقتها شاهد فيها جمالا لم يره أحد من قبل ، وقال كلمات خلال هذيانه تعبر عن حبه لها ٠ واحتياجه لها ٠

بعد انتهاء أيام العزاء وجدت الفتاة حرجا فى زيارته ٠ انتظرت أن يطرق بابها ليقول لها انه لا يستطيع أن يعيش وحيدا ، لا يستطيع الحياة بدونها كما يقول الرجـــال فى التمثيليات المذاعة ، لكنه لم يطرق بابها ، أو يذهب اليها فى عملها ٠ لم تستطع الانتظار فاندفعت لتطرق هى بابه ٠

رحب بها متســـائلا هل هجرته هى الأخرى ؟ ، فبعد رحيل الغالية لم يعد أحد يطرق بابه ٠ لم تستطع التحكم فى مشـــاعرها واحتضنته باكية ٠ اختلطت دموعها بدموعه ، واختلطت كل الأشياء ببعضها اختلط العالم كله ببعضه ، كأن زلزالا رج الأرض وأفنى من عليها ولم يبق سواهما ٠

بكى الشاب وهو يقبل يديها ، بكى وهو يلعن نفسه لأنه حطم مستقبلها • اما هى فقد كانت فرحة وقالت له انه هو مستقبلها وحاضرها وماضيها ايضا فهى تحبه من زمن • وكانت فرحتها بالحدث فرحة لا تعرفها سوى عروس فى ليلة زفافها من فتى احلامها •

عادت ليلتها الى بيتها كأنها تطير بجناحين من السعادة ، وهى لا تعلم أن معنى السعادة ليس فى تحليق الخيال وأن كلمة السعادة هلامية والذين يعرفونها حقيقة هم الذين يسيرون على أرض الواقع ويعرفون قيمة انفسهم بلا تقليل او مغالاة •

اما الشاب فلم ينم تلك الليلة واعتراه هم كبير • لقد كان احيانا يحلم بالزواج من فتاة جميلة لتعوضه عن دمامته وتثير حسد اصدقائه وأن تكون متعلمة تليق بمكانته الاجتماعية والعملية •• لكن ليس من الرجولة ان يخدع فتاة يتيمة ، وحيدة وتحبه ، وليس ايضا من الانصاف له ان يتزوجها فتقضى على مستقبله ، جاءت فى راسه فكرة استطاع بعدها أن ينام •

لقد دعاها لزيارته ودعى ايضا صديقين له • كتب الشاب بعض الكلمات فى ورقتين وقع بامضائه عليهما وطلب منها التوقيع كما وقع ايضا الصديقان • اعطاها ورقة وسألها أليست سعيدة بزواجها منه ؟! •• نعم سعيدة •• لكنها تساءلت •• أليس عقد القران يكتب فى أوراق رسمية وبواسطة مأذون ؟!

قال ضاحكا : أليس الزواج هو رضا الطرفين وشهادة اثنين ؟ هكذا كان الزواج قبل اختراع العقود والتعقيدات وما الفرق بين ورقة حكومية وورقة عادية •• كلها أوراق •• ثم قال لها شروطه ألا يعلم احد بهذا الزواج ، ولن ينجب حتى لا يزيد من عدد التعساء، ولن تنتقل لتعيش معه فى بيته •

واذا أخلت بهذه الشروط أو لم توافق عليها فما عليه الا أن يمزق الورقتين وعليها الا تراه بعد ذلك · « لا ·· لا ·· » هكذا نفت بلسانها وبيديها وبكل كيانها ·· انها تحبه وستبقى معه فى أى وضع يرضاه · ومنذ ذلك اليوم المحفور فى حياتها وهى تذهب اليه كل يوم قبل ذهابها الى عملها وبعد انتهائها منه · تنظف بيته · تعد طعامه ·· ترعى شئونه وتعطيه من عواطفها ·

اعترضت أخت الشـــاب على زيارات جارته · ولم يخبرها بالحقيقة · وتشاجرت أخوات الفتاة الثلاث معها وقاطعنها بسبب تواجدها المستمر فى شقة الشـــاب الأعزب ولم تخبرهن بالحقيقة · أما الجيران فلم يهتموا لأنهم دائما لم يهتموا بها واعتقدوا انها تعمل فى خدمة المحامى لتستطيع تحمل أعباء المعيشة ·

الشاب أصبح رجلا يزداد شهرة ونجاحا فى عمله ، والفتاة أصبحت امرأة تزداد انكماشا فى وحدتها فالرجل أصـــبح يضـــيق بتحكمها فى حياته وعصـــبيتها التى نتجت من طبيعة حياتها معه وأصبح يتهرب منها · لكنه لم يفكر فى الزواج من أخرى · تعود على حياته الانفرادية ، وله صديقات وأصـــدقاء يلتقى بهم بعيدا عنها ·

لما أصبحت وحدتها تطبق على أنفاسها لدرجة الاختناق قررت أن تخرج للناس · لكن أى ناس !! ·

كانت تذهب بمواصلة الى وسط المدينة · تسير فى طرقاتها تشاهد المعروضات فى المحلات · ثم تجلس فى مقهى يرتاده الرجال والنساء وتحملق فى الوجوه بالساعات ·

حدثت ألفة بين الوجوه فى المقهى ، هذه الألفة التى تنشأ من تواجد الناس فى مكان ما بصفة دائمة · لا يعرفون بعضهم بعضا لكن تحدث ألفة بينهم حتى أنهم يلقون التحية على بعضهم بعضا · وكانت مجموعة من النساء المسنات الأجنبيات اللاتى عشن حياتهن

فى بلدنا يلتقين فى هذا المقهى · نساء وحيدات بحكم رحيل الأزواج أو انشغالهم أو عودة عائلاتهن الى بلادهم يتحدثن بلغات أجنبية ، أو بلغة عربية شبه اجنبية ، ونشأت ألفة بينها وبين وجوه هؤلاء النساء فأصبحت تلقى عليهن التحية · دعونها يوما الى صحبتهن ثم أصبحت تتوجه بدون دعوة اليهن · استأنست بهذه الصحبة من المسنات فهى بينهن الغندورة ذات الأربعين ربعيا تقربت اليها أصغر المسنات وارتاحت لها ، وحكت لها حكايتها الطويلة مع جارها ·· تعاطفت معها المرأة الأجنبية وأعطتها عنوان بيتها لتذهب اليها كلما شعرت بضيق ولا تجدها فى المقهى ،لكن لأنها امرأة وحيدة بارادتها وتدور فى عالم محدود مغلق كانت تخاف الغرباء ، وكان التقائها بالأجنبيات فى مكان عام يطمئنها فلم تفكر فى زيارة المرأة التى أعطتها عنوان بيتها الا فى تلك الليلة المشئومة ·

لقد ذهبت الى زوجها كعادتها منذ سنين وتشاجرت معه عندما وجدته يرتدى اغلى ثيابه للذهاب الى ســــهرة ، وطلبت منه أن يصحبها معه فتشاجر معها معلنا ضيقة من غيرتها ومن حياته معها · هددته بابتعادها عنه ولن يراها أبدا · خرجت بثورة غضبها ولم يهتم بتهديدها هذا الذى اعلنته كثيرا من قبل ولم تنفذه ·· لم تستطع الذهاب الى وحدتها فى شقتها ، وتذكرت عنوان المرأة الأجنبية وبلا تردد ذهبت اليها · استقبلتها بترحاب فى شقتها الكبيرة وجلســـت معها فى حجرة صالون فاخرة · حدثتها عن مشاجرتها مع زوجها ونصحتها المرأة الأجنبية أن تنفذ تهديدها له ، وأن ترحم نفسها من استعباده لها فهناك رجال كثيرون يتمنون امرأة مثلها ، بشىء من العناية بملابسها وشكلها تستطيع أن تكون جميلة ، وهى على أى حال ليست زوجته رسميا · فرحت بكلام المرأة الأجنبية وكادت أن تقول لها عن رغبة داعبتها منذ دخلت الشقة الفاخرة أن تعيش معها ، وتعطيها ايجار حجرة لتؤنس كل منهما الأخرى · لكن قبل أن تقول رغبتها هذه دق جرس الباب ، ثم دخلت الخادمة مهرولة

الى سيدتها همســـت فى أذنها بشىء فقامت مفزوعة وخرجت من الحجرة وتوالت الأحداث بعد ذلك بسرعة مذهلة ٠

فقد سمعت صوت المرأة الأجنبية بلغتها العربية المضـــحكة وهى تصرخ بكلمات ٠ ثم شاهدت رجالا يندفعون الى داخل الشقة ويفتحون أبوابا مغلقة ٠ ثم شـــاهدت رجالا ونساء يخرجون من الحجرات عرايا تقريبا ، ثم وجدت نفسها تساق مع النساء والمرأة الأجنبية الى سيارة كبيرة ، ثم وجدت نفسها فى قسم شـــرطة ، لتحاكم فى منتصف الليل لاتهامها فى قضية وعليها أن تدلى بأقوالها ٠ كل هذا حدث وهى فى ذهول تام ٠

فى ذهولها سألت أين الرجال العرايا ؟! فلكزتها المرأة الواقفة بجوارها وأمرتها ألا تفتح فمها القبيح وتضـــايقت ٠ فى ذهولها سمعت أقوال النساء من قالت أن المرأة الأجنبية تستخدمها منذ عام وتعطيها فى الليلة عشرين جنيها ، ومن قالت انها تأخذ فى الليلة ثلاثين جنيها ، ولما طلبوا أقوالها أو اعترافها ٠ دارت عينـــاها المذهولتان بين النساء ، انها لا تقل جاذبية وجمالا عنهن اذا اعتنت بنفسها وملابسها كما قالت لها المرأة الأجنبية ، بكبرياء وحتى تغيظ أيضـــا المرأة التى وصـــفت فمها بالقبح قالت أن المرأة الأجنبية تستخدمها منذ عام وتعطيها فى الليلة مائة من الجنيهات ! ٠٠ وقد حاولت المرأة الأجنبية أن تقول شيئا لكنهم منعوها من الكلام ٠

ظن الرجل أن المرأة نفذت تهديدها له وهجرته أخيرا ، فقد مر أسبوع ولم تذهب اليه ٠ شـــعر بافتقادها عندما تراكم التراب فى شقته ولم يجد طعاما يأكله ، لكنه قرر ألا يسأل عنها لتنتهى حكايته معها ٠ وفى الصباح الباكر من بداية الأسبوع الثانى لغيابها طرقت بابه زميلة لها فى مكتب البريد وصديقة كانت تعرف حكايتها معه ، وأخبرته انها عندما قلقت لغياب صديقتها عن عملها سألت عنها فى كل مكان تذهب اليه حتى فى بيته طرقت بابه كثيرا فى غيـــابه ولم

تجدها .. وطبعا هى ليست فى شقتها لأن معها مفتاحا وكانت أول مكان تبحث فيه عنها .. فسألت عنها فى المستشفيات ثم فى أقسام البوليس الى أن علمت أنها قبض عليها فى بيت دعارة وحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات فى محاكمة عاجلة وعليه بصفته محاميا ان يفعل شيئا ٠

وقد ذهب الرجل الى سجن النساء وقابلها ، وعرف منها حقيقة الحكاية ثم توجه الى مكتبه ٠ جلس منهارا تماما كما شاهدناه فى البداية ٠

أحيانا الحوادث الأليمة ضرورية لبعض الناس حتى يفهمون حقيقة مشاعرهم ، لقد اكتشف الرجل وهو يقاوم دموعه انه يحب هذه المرأة التى أحبته أكثر من عشرين عاما ورضيت بوضعها معه ٠ وعليه أن يرفع عنها هذا الظلم الكبير وظلمه لها أيضا ٠ استعاد قوته ونادى على معاونه فى مكتب المحاماة ليذهب الى حيث كانت تلك المحاكمة السريعة ليحضر أوراق القضية ٠ وبعد أن اتصـــل هاتفيا بعدد من زملائه المحامين ، استعاد ثقته بنفسه لاستئناف هذه القضية ، فهناك شهود على براءة امرأته ٠ أولهم المرأة الأجنبية صاحبة البيت والبواب والخادمة ٠ وسيأخذ بشهادة طبيب نفسانى عن الظروف النفسية التى دفعتها الى اعترافها الكاذب ٠ وفوق كل هؤلاء الشهود سيكون دفاعه الصادق ! ٠

فتح المحامى درج مكتبه ليبحث عن ورقة قديمة مهملة ، ستكون آخر ورقة يضعها أمام المحكمة فى القضية اذا اقتضى الأمر بهذا ٠

أمسك بالورقة التى كان قد نسيها وابتسم وهو يتذكر تساؤلها البرىء منذ أكثر من عشـــرين عاما ٠ أليس عقد القران يكتب فى أوراق رسمية وبواسطة مأذون ؟! ٠٠ قال هامســـا كأنه يرد على تساؤلها القديم ٠٠ « سأرد لك اعتبارك يا حبيبتى ٠٠ وأكتبه فى ورقة رسمية وأجعلك تنسين هذه الحكاية الأليمة » ٠



وجه الحب الأول

قال : أنت كما أنت ، حبيبتى التى لم تبرح قلبى ، بالرغم من مرور السنين ٠

قالت : أنا لست أنا ، وأنت يبدو عليك جدية المنصب ٠٠

قال : لم تثقى يوما فى قدراتى ، وبأننى أســتطيع أن أفعل شيئا أو أن أكون شيئا ، أو أصل الى هذا المنصب ٠٠ كنت تعتبريننى عاطلا بالوراثة ، سفيها بأموال عائلتى ، راسبا فى دراســتى ولن أصلح لعمل شىء ٠

قالت : هذا صحيح ٠

زادت الضجة فى المكان من أحاديث الناس فى الحفلة ، وانشغل عنها بالترحيب ببعض معارفه ٠٠ هزت رأســها وهى تتذكر أيام الدراسة ، عندما كانا معا فى كلية الحقوق ٠٠ فى الســنة الأولى تعارفا ، وكان يجلس بجوارها دائما أثناء المحاضرات ، ويتعجب

منمتابعتها للأساتذة واستيعابها للعلم بسرعة ، وكانت تتعجب من كراهيته للكتب ، كان اعترافه لها بالحب واضــــحا ·· عرفه كل الزملاء والزميلات وأهلها وأهله · أحبته أيضا ، لكنها لم تقتنع به تماما ·· حاولت أن تحمسه على الدراسة لمستقبله العملى لكنه لم يهتم ··

اقترب منها حــاملا كوبين من عصـــير الفواكه ، قدم لها أحدهما ··

قال : كنت تعاملينني على انني طالب فاشل ، وكلما عرضت عليك الزواج تقولين عندما تنجح وتكون شيئا ، تقولين عندما تكسب عيشك من عملك وليس من نقود أهلك ··

قالت : لولا صدقى معك ، ماكنت نلت هذه الشهادات ، ولا وصلت الى هذا المنصب ··

قال : كان وصـــولى واصــــرارى وحدى ، كان يمكنك أن تقفى بجانبى ··

قالت : ضاحكة : اذا كنا تزوجنا فى تلك السن الصغيرة كان يمكن أن يقتل أحدنا الآخر ·

قال : على العكس كان يمكنك أن تساعدينى ·

قالت : حاولت ولم تفهم ، وكانت غيرتك فظيعة والشك فى رأسك أفظع ، وعندما بدأت أول طريق عملى ، كنت تغار حتى من عملى ··

ناداه بعض الناس فى الحفلة ، فذهب اليهم ، ووقفت وحدها لا تريد أن تتحدث مع أحد ·· وتذكرت تلك الأيام البعيدة التى قد نسيتها ·· واصلت النجاح فى دراستها ، وواصل رسوبه فى السنة

الأولى ، وكان يقدم شهادات اعتذار عن دخول الامتحانات بواسطة أهله ·· كان عمه وقتئذ وزيرا ·· وكانت صـــديقاتها ينصحنها بالزواج منه ، وبالرغم من رقة حالها كانت ترفض ·· فكرت بعقلية الفتيات اللاتى كن ينظرن الى الحياة بجـــدية ولهن مبادىء يردن تحقيقها ·· كانت تريد أن تقترن بشاب يعتمد على نفسه ، ناجح فى عمله ، وليس معتمدا على أموال أسرته ونجاح أفرادها ، كانت تريد أن تفتخر بشخصيته ومكانته ، ولم يفهم واعتقد انها تحب غيره ·· وتدخلت الغيرة الحمقاء عندما ابتعدت عنه فى مدرجات الدراســة تذكرت يوم تمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها عندما تشاجر معها أمام الحرم الجــامعى عندما وجدها تتحدث مع أحد زمــلائها ، وعندما تخرجت من الكلية وهو مازال يتعثر فى دراسته ، أراد أن يقف فى طريقمستقبلها العملى فقالتله هذا فراق بينى وبينك ، سافر الى الخارج ليدرس شيئا آخر غير القانون ، وعادت الصلة بينهما من خلال الخطابات ، لكن غيرته كانت واضحة فى خطاباته وأزعجتها ·

عاد اليها معتذرا لانشغاله ببعض المعارف فابتسمت وقالت أن هذا من دواعى المنصب ··

قال : ألم يكن بيننا حب حقيقى ؟

قالت : نعم ·· كان ··

قال : لماذا لا تعيدينه ؟

تساءلت : كيف ؟

قال : نعيده ·· أعرف اننى جرحتك يوما ، لكن صدقينى أنت أجمل ما فى حياتى ··

قالت : لم أكرهك يوما ·· حتى فى تلك الأيام البعيدة عندما حاول الدخلاء الايقاع بيننا وبث مزيد من الشك فى نفسك ·· لم

أكرهك ·· لكن الآن من الصعب أن نعيد ما كان بيننا من عشرين عاما ·· لا أريد أن أفسد حياتك ، أو تفسد حياتى ··

قال : لنصلح ما أفسدناه يوما ··

ناداه أحد الموجودين فذهب اليه ·· وذهبت هى الى مجموعة من معارفها لكنها لم تستطع الاندماج معهم ·· عشرون عاما مضت ، وكل منهما ذهب الى طريق ·· هو تحددت حياته مع زوجة اختارها أهله ·· وبعد الزواج قرر أن يصنع شيئا ، ويصبح شيئا ليؤكد للعالم أنه يستطيع أن يفعل شيئا · لم تساعده الزوجة على مواصلة دراسته · نال شهادات عليا باصراره وحده ، غرق فى عمله الى أن وصل الى هذا المنصب ··

وهى شقت طريق عملها بصعوبة الى أن استقلت فى مكتب محاماة وأصبحت محامية معروفة فى مجتمع يندر فيه أن تصبح امرأة فى مركزها ولكنها لظروف خاصة ليس لهاشأن بعملها فشلت فى زواجها ··

ناداها من وسط معارفها ، وهمس قائلا أنه يفضل أن يخرجا من هذا الحفل ليستطيعا تكملة حديثهما بدون أن يقاطعهما أحد · وافقت ·· جلست بجواره فىسيارته ·· وذهب بها الى مكان كانا يذهبان اليه ·· نظرت الى المكان وضحكت · ·

قالت : هذا المكان أصـــبح خرابة ·· كما ترى ·· هدموه ليبنوا غيره وكذلك حبنا ·· وذكريات ذلك الحب يا هدهد أصبحت خرائب ··

قال ـ : هدهد ·· لم يدللنى أحد بعدك ·· كم اشتقت الى ندائك لى بالهدهد والى رائحة عطرك ·· لقد غيرت عطرك ·· ومع ذلك مازالت رائحة عطرك القديم فى أنفى · ·لا أنساها ·· ألم تندمى يوما انك تركتنى ألا تندمين الآن ؟

ابتسمت وقالت : لا تغضب من صراحتى ٠٠ لم أندم ٠٠ لا أندم الآن اننى لم ارتبط بك ورغم ذلك فأنا فرحة بك وبما وصلت اليه وربما تكون أنت أيضا فرحت بما وصلت أنا اليه فى عملى ٠٠ لقد صارعنا ظروفنا فوصلنا الى ما وصلنا اليه الآن ٠٠ اذا كنا تزوجنا ربما كان هذا الصراع بيننا ، فاما كنا حطمنا أنفسنا ، أو انفصلنا بكراهية مرة ٠

قال : أنت مخطئة فى تصوراتك ، وكان هذا هو الفرق بين تفكيرنا ٠٠ رأيت الحياة معى جحيمـــا ، ورأيتها معك جنة ، ألم تفكرى هكذا ؟

قالت : نعم ٠٠ لا أنكر ٠٠

قال : والآن كيف تريننى ؟

قالت : أراك رجلا مسئولا ٠٠ صاحب منصـــب ٠٠ على كتفيك أربعة أبناء وفى أحضانك زوجة ٠٠

قال : تعرفين اننى لم أتزوج عن حب ، ولم أستطع أن احبها طوال هذه السنوات ٠٠

قالت : لا تتحدث هكذا عن امرأتك ٠٠

قال : الحب كما عرفته كان معك أنت ٠٠ لقد عرفت زوجتى قصتنا فى أول زواجنا ، وظنت انها كانت نزوة لكنها عندما عثرت على خطاباتك التى كنت أحتفظ بها ، تلك التى أرسلتها لى وأنا فى الغربة أيقنت انك لم تكونى مجرد نزوة ٠٠ مزقت الخطابات لأريحها وأطمئنها ٠٠ وندمت اننى مزقتها ، كما ندمت اننى تركتك ٠٠

قالت : أنت لم تتركنى ٠٠ أنا التى رفضتك ٠٠

قال : نعم رفضتنى لأنى جرحتك بشكى ، جرحتك بتصديق

كلام سخيف عنك من خطابات مسمومة كانت تصلنى فى الغربة ، ومع ذلك عندما عدت طلبتك للمرة الألف أن تتزوجينى ورفضت ٠

قالت : لم تؤثر فى تلك الخطابات لأنى أعرف نفسى ، وقد قررت ألا أرتبط بك ٠٠

قال : كنت تخدعيننى فى خطاباتك ٠٠

قالت : اذا كنت خدعتك كنت تزوجتك ٠٠

ساد الصمت بينهما ، وتذكرت تلك الأيام لأول مرة منذ سنوات بعيدة كيف جرحها بشكه وغيرته وكانت تنتظره باخلاصـــها له ، معتقدة ان غربته غيرت من طبائعه ٠٠ وقررت قرارا لا رجعة فيه ألا ترتبط به ٠٠

قال : زوجتى تكره منصبى هذا ، لأنها تزوجتنى وأنا لا شىء ، فاشل لا يرجى منى شىء ٠ وهى الآن تكره انشغالى بعملى وتنصحنى أن أترك كل شىء وأتفرغ للأرض التى ورثتها عن أهلى ٠٠ تخيلى ٠٠ بعد كل مجهودى وتعبى لأصل الى هذا المنصب ٠٠ هى نقيضتك فى كل شىء ٠٠

ساد الصمت بينهما لحظة ٠٠ واصل حديثه بعدها ٠٠

بالرغم من الأزمات التى حدثت بيننا كانت لنا ذكريات جميلة ٠

قالت : كانت فترة من حياتنا ٠٠

قال : لنعدها ٠٠

قالت : شىء مر عليه عشرون عاما ، كيف نعيده بنفس المشاعر القديمة ٠٠ ألم تنس ؟

قال : لا ٠٠ أبدا ٠٠ أنت وجه الحب الأول ، وأعتقد اننى كذلك بالنسبة لك أيضا ، اننا لا ننسى وجه الحب الأول ٠ كيف تنسين ؟!

قالت : لم انسى وجهك ، بدليل اننى عرفتك أول ما رأيتك فى الحفلة ··

قال : الموقف لا يحتمل المزاح ··

قالت : أنت الذى تمزح ·· تريد أن تعيد شيئا انتهى بمرور السنين ·· وأيضا تنعم باستقرار فى حياتك الزوجية · ·

قال : نتزوج · أستطيع أن أصرف على بيت ثان ··

قالت : أعرف انك تستطيع أن تنفق على خمسة بيوت ، لكن هذا ليس من مبادئى ·

قال : العالم تغير وأنت مازلت تتمسكين بمبادئك · ألم أقل لك أنت كما أنت · لذلك مازلت أحبك · فكرى فى الأمر ·

صمتت ·· كيف تجعل هذا الرجل يفهم ، أن قصـــتها معه انتهت من زمن كيف تجعله يفهم انها رفضته لأنها لم تكن مقتنعة به ، ومازالت غير مقتنعة لأنها تعرف كيف وصل الى هذا المنصب ·· كيف، تجعله يفهم أن له زوجة وابناء ولا يصح أن تفسد حياتهم ·· لكن كما هو لا يفهم الا ما يدور فى عقله ··مازال كما هو يعتقد أنه يستطيع أن يحصل على كل ما يريده بأمواله ·

قال : هل تكرهيننى الى هذا الحد ؟

قالت : لم أكرهك يوما ·· ولن أكرهك ··

قال : متى نتقابل ؟

قالت: لا أريد أن أفسد حياتك ··

قال : ستبقين دائما فى قلبى ·· وجه الحب الأول ··

قالت وهى تسلم عليه قبل أن تنزل أمام منزلها :

لذلك أفضل ألا نلتقى أبدا ··

ضاع منها فى الزحام

بدأت حكاية بطلتنا ، أو على الأصح بدأت متاعبها منذ خمس سنوات ، وكانت خريجة جديدة من الجامعة · وحصلت على عمل بمرتب كبير لاجادتها اللغات الأجنبية · ولأن والدها طبيب فى البلد ويسكنون فى أحد الأحياء الراقية · ولأنها وحيدته ووريثته · فلا يهم الجمال · هى فتاة مؤدبة · لم تتحدث مع شاب طوال دراستها الجامعية ! كانت من الكلية الى البيت والعكس ثم أصبحت من عملها الى البيت والعكس · ليس لها صديقات · لا تخرج الا فى صحبة أمها · وترتدى ملابس غالية الثمن · وبدأت العائلات المعروفة يقدمون شبابها لخطبة ابنة الطبيب الكبير ·

اختار والدها شابا أعجبت به بعد أن أبديا اعجابهما أولا · وكان أول خطيب لها · أول شاب تتحدث معه حديثا خاصا · لم يدر أحد فى أى شىء كانا يتحدثان ، أو كيف كانت تعامله · المهم هى فى غاية الفرح ·

وذات يوم من أيام خطوبتها السعيدة · كانت بطلتنا تسير مع خطيبها فى طريق مزدحم كانت تمسك بيده وهما يشاهدان معروضات المحلات التجارية فى الشارع المزدحم · كانت تسير فرحة بآمالها الوردية، كأنها تسير فى حقل من الزهور وليس فى طريق مزدحم ·

« أنظر يا حبيبى · هذا سنشتريه · وهذا ·· وهذا ·· وكل الأشياء الجميلة المعروضة سنقتنيها لبيتنا » ·

هكذا قالت لخطيبها وهى ممسكة بيده · وقد كانا يســـيران بالقرب من احدى دور السينما عندما حدث الطوفان · خرجت جموع المشاهدين كأن بحرا اضـــطربت أمواجه فجأة · وتعالت أمامهما موجات هذا البشر · لم تستطع الاحتفاظ بيد خطيبها فى يدها ·· وأخذت جانبا الى أن مر طوفان البشر بينهما · مدت يدها لتمسك بيده فلم تجده · سارت عدة خطوات نظرت الى كل اتجاه · ولم تجده · دخلت الى عدة محلات تجارية قريبة · ولم تجده · عبرت الى الجانب الآخر من الطريق · ولم تجده · كأن الأرض انشقت فجأة ابتلعته · كأن طوفان البشر الذى مر بينهما حمله واختفى به ·

عادت بطلتنا الى بيت والديها · مصفرة الوجه · مضطربة · « ماذا حدث ؟ » ·

انفجرتباكية : « ضاع منى فى الزحام » ·

تبادل الوالدان نظرات الدهشة والقلق ·

قال الأب : سيحضر الآن ·· قطعا سيحضر ·

قالت الأم : انتظرى قليلا ثم اتصلى به فى منزله ·

ولم تنتظر · قامت لتتصل به · لا أحد يرد · مرت ساعات وهى تنظر من النافذة وتنتظر ·

قال الأب : اذهبى لفراشك الآن · سيحضر غدا ليقول لك ماذا حدث له قطعا سيحضر ·

وجاء الغد ولم يحضر الخطيب · نصحها والدها الا تتصل به ·

قالت : أريد أن أطمئن عليه ·· لابد أن مكروها قد حدث له ·

وقال الأب : انه اذا كان قد حدث له مكروه لأخبرهم أهله بذلك · ونصحها حفظا لكرامتها الا تتصل به ·

وفى كل يوم تنتظر بشوق أن يحضر خطيبها · وتنظر الى خاتم الخطوبة فى يدها وتحتضن هداياه وتبكى · وعندما تطلبه خلسة فى بيت أهله تسمع صوت أحد أفراد عائلته يقول لها ان الرقم خطأ ، أو · أنه لا يوجد أحد بهذا الاسم هنا ·

وبعد حوالى شهر من حادثة الطريق · وكانت بطلتنا بدأت تنسى خطيبها · ذهبت والدته اليهم · وبشىء من الخجل طلبت الهدايا الغالية التى قدمها ابنها · فهو للأسف خطب أخرى ·

« لماذا ؟ » ·

« لا شىء يعيب ابنتكم » ·

وبكت بطلتنا أمام والديها بحرقة وعصبية مع أنها كادت أن تنساه !

أصبحت تختنق كلما رأت زحاما من الناس · وقد فقدت وعيها يوما فى مواصلة عامة · اغمى عليها عندما اشتد الزحام · وحملها بعض الناس الطيبين الى صيدلية قريبة الى أن عادت الى وعيها وأوصلوها الى بيت أهلها ·

وحتى لا يقتلها الخوف من زحام البشر فى المواصلات والطرقات وحتى لا تمرض بحزنها اشترى لها والدها سيارة صغيرة فرحت بهاوفرح والديها لعودة الابتسامة الى شفتى وحيدتهما . وبدأت حياتها تسير عادية كما كانت . ونسيت هروب الشاب وحزنها .

قالت لها احدى قريباتها : « اذهبى الى قارىء طالع . ربما يطلعك عما سيحدث . ويقول لك لماذا حدث الذى حدث » .

استهوتها الفكرة وذهبت مع قريبتها .

قال لها قارىء الطالع :

« حظك ليس فى هذا البلد . ستجدين حظك ومستقبلك فى بلد بعيد . ستسافرين وتجدين حظك هناك » .

سألته بطلتنا بلهفة : « سأتزوج هناك فى البلد البعيد ؟ ! .

قال الرجل : « ستجدين كل ما ترغبينه هناك » .

وعندما عادت الى بيت أهلها قالت بلا تفكير لأبيها انها تريد أن تستكمل دراستها العليا فى الخارج وستبحث عن بعثة دراسية أو تسافر على نفقته . وانزعج .

كيف تسافر وحيدته الى بلد بعيد . وكيف يمكن أن تعيش هناك سنوات وحدها ؟!

بكت بحرقة وعصبية ولم تهدأ الا عندما وعدها والدها كاذبا انه سيبحث فى أمر ما تطلبه .

بعد عدة شـــهور كانت قد نسيت طلبها بالسفر . وذهبت الفكرة تماما بحضور الخطيب الثانى . وخاتم خطوبة جديد باسم جديد التف حول اصبعها .

نصتحها سيدة مجربة من قريباتها أن تغير من « تسريحة » شعرها وأن تغير من نوع ثيابها فهى وان كانت غالية الثمن الا أنها تصلح لطالبة صغيرة وليست لأنثى مخطوبة · وأن تتزين اكثر وترتدى أحذية كعوبها عالية حتى تتغندر وهى تسير بها ·

وعملت بطلتنا بنصيحة قريبتها الغالية · وبدأت تتدرب على أن تكون أنثى متغندرة ! لكنها كانت تتعثر وهى تسير بالحذاء ذى الكعب العالى وتبتلع نصف الكلمة التى تنطق بها فلا يفهمها من يسمعها · وتثقل من وضع الماكياج على وجهها بلا مناسبة وأحيانا يكون منظرها مضحكا ·

لم تخرج مع خطيبها الثانى الى الطريق · لقد تشاءمت من كل الطرق كان يذهب لزيارتها فى بيت أهلها · وفى البيت تجلس معهما الأم وأحيانا الأب اذا عاد مبكرا من عيادته أو كان يوما لأجازته · وتضايق الخطيب من صحبة والديها أو أحدهما دائما · وسألها أن يخرجا للتنزه فى مكان عام وأنه يريد أن يحدثها حديثا خاصا بهما · وتحت الحاحه وخوفا من اختفائه وافقت · ذهبا الى كازينو · تكرر ذهابهما · واستبشرت بالمكان الجميل ·

وذات يوم من أيام خطوبتها السعيدة · وهى جالســـة مع خطيبها فى الكازينو · استأذن منها قليلا ليذهب الى دورة المياه · ولما طالت غيبته نادت على الرجل الذى أحضر طلباتهما وسألته أن يذهب الى دورة المياه ويبحث عن خطيبها فهى تخاف أن يكون قد حدث له مكروه · ابتسم الرجل مواسيا مشفقا وقال لها أن خطيبها هذا دفع له الحساب وخرج ·

عادت بطلتنا الى بيت أهلها مصفرة الوجه مضطربة ·

« ماذا حدث ؟ » ·

وانفجرت فى بكاء هيستيرى : « ضاع منى فى الكازينو » ·

تحدثت الأم مع قريباتها وقلن لها أن الذى يحدث لابنتها شىء غير طبيعى · ونصحتها أن تأخذ ابنتها الى رجل خبير فى شئون السحر والشعوذة · ربما يكتشف سحرا سيئا صنعته لها احدى الخبيثات الشريرات · وربما يبطل الرجل هذا السحر ·

عملت الأم بالنصيحة وأخذت ابنتها وذهبتا ·

قال رجل السحر والشعوذة لبطلتنا :

« مكتوب لك سحر شرير · مدفون فى المقابر · فعلته امرأة شريرة لتذل والديك بهروب كل شاب يتقدم لك » ·

سألته الأم : « هل يمكن اخراج هذا السحر » ·

قال الرجل : « يمكن طبعا · سأعمل المستحيل من أجل ابنتك المسكينة » ·

قالت الأم : « أرجوك أخرج هذا السحر وسأعطيك ما تطلبه » ·
قال الرجل الذى بدهائه وخســـته يعرف لهفة الأمهات على تزويج بناتهن قال : « ثلاثمائة جنيه » ·

انزعجت الأم أولا · فهى اذا طلبت هذا المبلغ من الأب سيرفض لأنه لا يعترف بأمور السحر والشعوذة ·

ثم قالت للرجل بحزم « سيكون عندك المال عندما تخرج هذا السحر ونراه » ·

وقد دفعت الأم المبلغ من مالها الخاص للرجل بعد أن أخرج السحر الشرير من المقابر وأبطل مفعوله · ثم قالت للأب عما حدث · وهو ان كان لم يقتنع الا أنه دفع لها المبلغ الكبير من أجل عيون وحيدته ·

سارت الحياة عادية ببطلتنا · ونسيت حكاية هروب خطيبها

الثانى واطمأنت أنه لم يعد هناك سحر شرير يجعل الشبان يهربون منها · لكن الأم بدأت تقلق · فالشهور والسنين تمر وابنتها تقترب من الثلاثين ولم تتزوج · لذلك كانت فرحتها أكبر من فرحة ابنتها عندما تقدم الخطيب الثالث ·

قررت بطلتنا ألا تخرج مع خطيبها الى طريق مزدحم وألا تذهب معه الى أى كازينو · لن تخرج معه من بيت أهلها الا الى بيتهما

قال : يا حبيبتى من الذى سيختار جهاز بيتنا ؟

ـ ماما ·· بابا ·

ـ افرضى ذوقهما لم يعجبنا ؟

ـ نخرج بصحبتهما ·

وكان يخرج ·· الوالدان والخطيبان ·· وأحيانا الأم وهما · واشتروا كل الجهاز · لقد دفع الخطيب مهرا لا يساوى ثمن حجرة واحدة · ومع ذلك لم يطالبوه بشىء · بل قال له الأب أنه على استعداد أن يدفع مقدم ثمن الشقة التى يسكناها وعليه أن يبحث ·

وفى يوم أخبرهم الخطيب أنه سيسافر فى مهمة لعمله · وعندما يعود سيبحث عن شقة · وهو فعلا كلف بعض أصدقائه بالبحث · أصيب الوالدان والابنة بالوجوم وخيم عليهم الهم ·

وبعد يومين وفى لحظة ذكاء جاءت بطلتنا وذهبت الى مكان عمل خطيبها وسألت عنه رجل الاستعلامات · فقال لها انه موجود اذا أرادت أن تحدثه ·

وطلبه لها · وعندما وضعت سماعة التليفون على أذنها وسمعت صوت خطيبها يسأل من ؟ ·· لم تخرج أى كلمة من بين

شفتيها · وضعت السماعة لم تذهب الى عملها عادت الى بيت أهلها وقد بقيت ثلاثة أيام فاقدة النطق ·

فهم والدها ما حدث · أعطاها بعض المهدئات · وعندما بدأت تتحدث وتقول ماذا حدث · لم يجد والدها مفرا من الذهاب الى طبيب نفسانى ·

وقد استمع الطبيب النفسانى الى حكايات بطلتنا مع خطابها · وسألها عن طفولتها وصباها · وكتب فى تقريره ما يلى :

« شخصية هيستيرية · تحيل حياة من يتعاملون معها الى جحيم بينما لا تتعـــرض هى الى أى قدر من المعـــاناة لأنها غير مستبصرة بطبيعتها · كما أنها غير قادرة على الارتباط الوجدانى العميق · فالسطحية سمة رئيسية وخاصة سطحية الانفعال · بالرغم من أنها تبدو عكس ذلك فى مواقف الانفعال · قد تظهر التأثر الشديد لكن سرعان ما يفتر كل شىء · وقد ينقلب الانفعال الى عكسه · فمن الحب الشديد الى الكراهية الشديدة ومن الحزن الشديد الى عدم المبالاة · والضيق الذى تشعر به يكون عندما تصبح بعيدة عن مركز الاهتمام · وعدم قدرتها على مواجهة المواقف يجعلها تصاب بالأعراض الهيستيرية المرضـــية · كما حدث لها ·· الاغماء ·· وفقدان القدرة على الكلام ·· وأسباب شخصيتها الهيستيرية أسلوب التنشـــئة ·· اعتمادها على والديها فى كل شىء · ظلت طفلة فى انفعالاتها وتفكيرها · وسلوكها » ·

وبعد أن قرأ والد بطلتنا هذا التقرير اغتم · وسأل الطبيب النفسانى عن العلاج · فقال له انها لا تحتاج الى علاج فى العيادة النفسية · ومشـــكلتها هى عدم التكيف وعدم قدرة الآخرين على التكيف معها · وهذا كان مصدر مشاكلها فى علاقاتها مع خطابها ·

وقد طلب الطبيب النفسانى مقابلة خطيبها الثالث · وشرح

له شخصية خطيبته · وانها فتاة طيبة · فاذا كان لديه شيء من الحب لها يمكنه مساعدتها على أن تكون طبيعية ·

وقد اعترف الخطيب للطبيب النفسانى بضيقه من بعض تصرفات خطيبته · لذلك قال حجة السفر هذه · حتى يبتعد قليلا عنها ويفكر بهدوء · فهو من يوم خطوبتهما وهى تطلب أن تراه كل يوم · واذا لم يذهب غضبت · ولاحظ أن والديها يريدان الاسراع فى اتمام الزواج فبدأ يشك فى الأمر ·

وتحدث معه الطبيب النفسانى حديثا طويلا عن النفس البشرية وأهمية فهم الشخصية · وفكر الشاب · الفتاة أحبته وهو لا ينكر أنه أحبها قليلا · وقد خطبها لسمعة والدها الطيبة وثراء عائلتها · وقد يسروا له كل شيء · وأحاطوه بالاهتمام والحب · والآن وقد فهم شخصية خطيبته الهيستيرية · ببعض الصبر وضبط النفس يمكن أن يساعدها ويمكن أن تحبه كثيرا وعاد اليها ·

وكانت بطلتنا فى يوم زفافها جميلة · وفرحتها هيستيرية شديدة !!

أغلى شيء عنده

فى أعقاب الحــــرب العـــالمية الثانية وبلاد أوروبا تئن من أوجاعها ، واليأس مسيطر على نسائها بسبب موت الرجال ، وفى بداية الثورة المصرية والأمل مسيطر على الشباب ، سافر الشاب المصرى فى بعثة علمية الى بلد من هذه البلاد الأوروبية ، متفتحا بالرجولة والأمل ، كان حلم النساء هناك · أربع سنوات البعثة ، وكل شهر أو كل أســـبوع وأحيانا كل يوم مع وجه جديد من تلك النساء اليائسات ، الى أن عرفها فى الشهور الأخيرة من بعثته ، اســـتحوذت عليه بجمالها ودهائها وقررت أن تعيش معه فى بلده المتفتح بالأمل الجديد للثورة · تعلقت به باكية قبل سفره ، أمنيتها أن تعيش معه فى بلد آمن بالأمل والبناء · هو أيضا قرر ان يستحوذ على هذه الزهرة الشقراء ويتباهى بها أمام أهله البسطاء ·

ولأنه فى ذلك الوقت لم يكن فى بلده شركات توظف النابهين بمرتبات شهرية مرتفعة ، ولأن طالب البعثة كان يعود الى موضعه العملى ذاته وربما يزيد مرتبه بضعة جنيهات ، فقد عاشـــا فى بيت

الأسرة المكتظ بالأخوة والأخوات . تفضل والداه عليه وخصصا لهما حجرة فيها نافذةصغيرة تطل على منازل الحى المكتظ بالسكان . وعدها أن تتحمل عاما واحدا الى أن يستطيع تدبير سكن منفرد لهما ، لكنه لم يستطيع . فى العام الثالث حملت وكان « وحمها » أن تزور والديها وتستنشق هواء بلدها ، ولأنه فرح بأنه سيكون أبا فقد وافق حتى لا يغضبها واستدان لشراء تذكرة سفرها ، ووعدها أنها عندما تعود بعد شهر كما اتفقا سيكون لهما بيت مستقل . وفعلا استطاع أخيرا أن يؤجر شقة فى منطقة نائية من العاصمة . وأرسل لها هذا الخبر السعيد مدعما بالصور .

لكنها عندما عادت الى بلدها وجدت تغييرا عظيما قد حدث كما لو أن الحرب لم تكن ، والنساء مشرقات بالأمل لوفود شبان ورجال من انحاء أوروبا للمعيشة فى هذا البلد الجميل . وبدلا من أن تكتب لزوجها عن موعد عودتها كتبت له عن تأجيلها الى أن تضع طفلهما فى بلدها حسب نصيحة والديها . أقنع الرجل نفســـه ان هذا أحسن لزوجته ، والى أن تمر الشهور يكون قد أثث عشهما الجميل .

وقد طار من الفرحة عندما ارسلت له صورة للولد بعد الوضع مباشرة ، لكنها لن تستطيع العودة به قبل عدة شهور حسب نصيحة الأطباء . أقنع الرجل نفسه بأن هذا أحسن للولد . لكن الشهور أصبحت ثلاث سنوات ، وكل فترة يتسلم الرجل خطابا من زوجته وصورة لابنه ، وفى كل خطاب عذر عن عدم اســـتطاعتها العودة بطفلهما ، ويجد هو عذرا ، انه بالكد يستطيع ان يعيش ويؤثث شقته ، وهذا أفضل لابنه حتى يأتى فى بيت يليق بدمه الأوروبى . وعندما استطاع أن يقنع رؤساءه فى العمل ان يرسلوه فى منحة عملية الى بلد زوجته لمدة شهر لمصلحة العمل ، كان ابنه فى الخامسة من عمره .

استطاع الرجل السفر فى وقت كان فيه السماح بالسفر صعبا ·· شهر كامل بجوار ابنه ، يحتضنه يلعب معه فى الحدائق والغابات يحدثه بلغته ، صورة طبق الأصل من أمه ، اسمه أوروبى ولقبه عربى · ولما طلب من زوجته العودة معه الى وطنه ، أقنعته بدهائها انه من الأفضل الا يغير الولد المناخ الذى نشأ فيه ولا نوع دراسته التى بدأها فالتغيير يسيئه نفسيا وربما يصبح شابا معقدا · فقال لها ان ابنه أغلى شىء عنده ولا يود سوى سعادته ، فقد شـــعر حقيقة بهذا الشعور الأبوى عندما ضم ابنه الى صدره · وسألها اذا كانت تنوى طلب الطلاق ، لكنها نفت هذا بشدة فهى ليست فى حاجة الى زوج ، ولمصلحة ابنهما النفسية لا يصح أن يعيش بين والدين مطلقين وعادامت تعمل وتكسب فهى تستطيع أن تصرف على ابنها · ربما لم يلتفت الرجل وقتها الى القوة التى اكتسبتها نساء أوروبا من قوتهن الاقتصادية المؤثرة ومع نشأة الثورة الجنســـية هناك فى بداية الستينات من هذا القرن ، لم يعد الزواج مطلبا ملحا للمرأة ، ومعظم النساء لهن بنين وبذات تعترف الدولة بهم والمجتمع بدون آباء ·

وعدته زوجته انها وابنها سيعيشان معه فى يوم من الأيام عندما ينتهى الولد من دراسته · ووعدها انه ســـيهىء لهما بيتا جميلا وسيعوضهما عن السنين المتعبة التى أمضتها معه فى أول زواجهما · وعاد لبلده بهذا الأمل · ولعدة شهور تعذب كثيرا لبعد ابنه عنه بعد أن احتضنه وشعر بأبوته ، وأبعد عن رأسه فكرة ان ابنه قد سرق منه وسيحرم منه دائما ، وليؤكد لنفسه ولمن حوله ان له ابنا فقد كان دائما يحلف بحياة ابنه ، ولما وجد بعض السخرية من المقربين اليه بسؤاله أين ابنك هذا ، قرر ألا يضع نفسه موضـــع السخرية وأصبح يحلف بحياة أغلى شىء عنده ، وكان يترك للناس تخمينهم · فمع مرور السنين كان يظن البعض أن أغلى شىء عنده هو وظيفته التى تدرج فيها وتعب باجتهاده ومجهوده الى أن أصبح

رئيسا لمؤسسة كبيرة وكان البعض يظن أن أغلى شىء عنده هى شقته التى اشتراها فى موقع ممتاز على النيل ، وكان البعض يظن انها سيارته الفاخرة ، لكن لم يخطر على بال أحد ولم يفصح هو أن أغلى شىء عنده هو ابنه الذى رآه أول مرة وهو فى الخامسة من عمره وثانى مرة بعد اثنتى عشــــرة سنة عندما كان ابنه فى السابعة عشرة من عمره ، واستطاع وقتها ان يسافر له بدون حيلة للسفر ٠ فقد بدأت أبواب الطائرات فى بلده تفتح لكل من يملك ثمن التذكرة ٠ وبالرغم من أنه قرر أن يسافر ليرى ابنه كل عام الا انه لم يفعل هذا لمدة عشر سنوات ، لأنه عندما قابل ابنه وهو شاب لم يستطع التواصل معه ، كما كان طفلا ، وشعر بغربة شديدة بينه وبين زوجته ٠ ومع ذلك فهو مازال يحلف بأغلى شىء عنده ، ومازال يعيش على أمل ان تعود زوجته وابنه ليعيشا معه عندما يحال الى المعاش ! ٠ واستمر فى الكتابة لابنه من حين لآخر يحدثه عن البيت الذى سيكون له فى المستقبل عندما يحضر ويعيش فى بلده « مصر » يحدثه عن العمل الذى يرتبه له ٠ لكنه لم يتلق ردا شافيا من ابنه خلال تلك السنوات ، كان يرسل له فى المناسبات بطاقات مصورة ، يكتب عليها « كل سنة وأنت طيب يا أبى » لكنه لم يكتب له انه قرر مثلا أن يعيش معه ، أو أن يعترف بأن بلد أبيه هو بلده ٠ وكان الرجل يفرح بكلمة أبى كاثبات للبنوة ٠

كان الرجل يصاحب النســـاء ويغمرهن بعواطفه ويســـرهن بصحبته ويتباهى بهن أمام المجتمع ، لكن النساء المصريات لســـن مثل الأوروبيات فى طباعهن ، فهن على حد تعبيره متخلفات مازلن يحببن الاستقرار فى الزواج ، فقد كن يسألنه الزواج بطريق مباشر أو غير مباشر ، وأمام هذا السؤال يتحول الرجل المحب الوديع الى انسان شرس يدافع عن ممتلكاته التى يريد ان يأخذها الأعداء ويدافع عن أغلى شىء عنده ! ٠ فتضطر حبيبته الى أن تتركه ٠ ربما يتعب

قليلا أو كثيرا ، لكن اذا كان قد استطاع أن يعيش بعيدا عن أغلى شيء عنده وهو ابنه ، الا يستطيع أن يعيش بدون امرأة ؟

وعندما سألته حبيبته الأخيرة ما هو أغلى شيء عنده هذا الذي يحلف به ، اتخذ صورة هذا المدافع الشرس وقال لها ببرود وتهكم : ماذا سيقول لها ، انها هي مثلا ٠ لا ٠ هو ابنه طبعا ! أيقنت حبيبته انها تعبت معه بدون فائدة ، فهو لن يتطور بأفكاره وينظر الى الواقع بجدية ، ويبعد عن رأسه فكرة عودة زوجته وابنه له ويعيش حياة طبيعية مع امرأة ٠ وهي لن تستطيع الاستمرار معه في علاقة يائسة ٠ ربما اذا أجابها كاذبا أو ضاحكا انها أغلى شيء عنده لكان جعلها تشعر بأهميتها في حياته ، لكان جعلها تشـــعر بسعادة الكلمة الحلوة حتى وان كانت مجاملة ، لكان وجد من يواسيه في صدمة وهمه الكبير ٠ لكن حبيبته كانت قد وصلت درجة تحملها الى فوق ما تحتمل ، وكانت عبارته مثل القشة التي قصمت ظهر البعير فابتعدت عنه ٠

حمق الانسان كثيرا ما يقوده الى التهلكة ٠ عندما اقترب الرجل من عمر الستين أرســـل لزوجته وابنه خطابا طويلا مؤثرا بضرورة حضورهما للحياة معه ٠ وربما ظنت الزوجة ان زوجها مريض أو يحتضر فقررت زيارته مع ابنه الذي يرى بلد أبيه لأول مرة في حياته ، وعمره بات سبعة وعشرين عاما ٠

توقع الرجل ان يستقبلهما بمتاعهما لكنه وجد كلا منهما يحمل حقيبة واحدة ٠ أعجبت زوجته بشقته الفاخرة والتغيير الذي حدث له ولبلده وان كانت قد ازدحمت كثيرا ٠ وبالرغم من أن شقته في الدور العاشر وتطل على النيل ، وبعيدة عن ضجة الطريق ، والذين فيها بعيدون عن متاعب الناس الا أن بعض هذه المتاعب شـــعرت بها زوجته ، فقد انقطعت الكهرباء كثيرا وامتنع وصـــول المياه ، واضـــطرت أكثر من مرة أن تصـــعد عشـــرة أدوار على

قدميها · اما ابنه فقد أعجب بالجـــو الجـــديد والبلد الجديد . وكان الرجـــل مثل المرشـــد الســـياحى يطوف بهما بين الآثار القديمة والعمران الجديد · وعامل ابنه على انه صديق له وجده بعد غربة سنين وسيستمتع بالحياة معه ، لكنه وبعد أسبوعين من وجودهما معه وفرحته بهما فوجىء بحديثهما عن العودة · العودة الى أين ، وهذه بلدكما ؟ وأخبر ابنه عن عمل كبير يمكنه القيام به بمساعدته ، وعن ثلاث فتيات نصف أجنبيات مثله سيقدمهن له ربما تعجبه واحدة منهم ويتزوجها ·

قال له ابنه بصراحة وحزم أوروبى ان عمله هناك فى بلده ، وان خطيبته هناك تنتظره · وأصر على العودة · انهار الرجل أمام اصرار ابنه ، وقال له كيف يتركه وهو فى هذا العمر وحده وانه فعل كل هذه الأشياء من أجله لأنه أغلى شىء عنده · وان كان ظهر الغضب على وجه ابنه الا أنه تحدث ببرود مع أبيه · أولا هو ليس شيئا ليمتلكه ويقول انه أغلى شىء عنده ، وهو لا يريد أن يغير حياته من أجل رجل غريب عنه وان كان والده · وأين كان طوال تلك الســـنوات ؟ ولماذا لم يذهب هو ليعيش مع زوجته وابنه فى بلدهما ، مادامت زوجته لم تتحمل الحياة فى بلده ؟ من أولى بالرعاية والصحبة فى عمرها الكبير هى أمه التى ربته وصرفت عليه ، وليس هو والده بالاسم فقط الذى يحمل لقبه · وليعرف انه قد غير لقبه المضحك وحمل لقب والد أمه · وختم حديثه الجاد بقوله انه وأمه حضرا لزيارته وليس للحياة معه ·

صمت الرجل قليلا من أثر صدمته فى حديث ابنه ، ثم حاول ان يشرح له حبه له ولأمه بدليل انه لم يتزوج غيرها ، وهذا كان فى استطاعته حسب شريعة دينه دون أن يطلق والدته · وانه لم يذهب للحياة معهما لأنه فى ذلك الوقت البعيد كان من الصعب ان يجد عملا لائقا فى بلد أمه · وبعد مرور السنين ماذا كان يمكنه ان يعمل

هناك . والآن اذا باع كل شيء لديه وأخذ نقوده ليعيش معهما الى متى ستكفيه هذه النقود ؟ قال ابنه ببرود : « من الذى سألك يا أبى ان تقوم بهذه المغامرة وتأتى معنا ؟ كل منا عاش حياته بطريقته حسب ظروف وتقاليد مجتمعه ، لن نستطيع الحياة معك هنا ، ولن تستطيع الحياة معنا هناك . لنتراسل كما كنا طوال السنوات الماضية ، ولنتزاور كلما استطعت أو استطعنا » . ولم يدرك الرجل أنه عاش فى وهم كبير الا عندما طارت الطائرة وهى تحمل أغلى شيء عنده .

زوجتى الجميلة

قالت زوجتى الجميلة وهى تنظر الى بشىء من الاحتقار والغرور : « ألف رجل يتمنى ان يتزوجنى جمالى لا يليق الا بأمير · اما أنت ·· » ومطت شفتيها بامتعاض ·· ابتسمت ساخرا من كلامها ومنظرها · فأنا لم أعد أرى جمالها هذا الذى تتحدث عنه وكانت صورتها الأخيرة فى عينى لامرأة قبيحة تحاول أن تخفى قبحها بألوان صارخة من الملابس والماكياج ، وعطر ثقيل يكتم الانفاس ·

***

أول مرة وقعت عينى عليها منذ سنتين ظهرت فجأة فى النادى الرياضى الذى اشترك فيه · كانت تقف وسط مجموعة فتيات ، تسمرت فى مكانى كأن قوة مغناطيسية قد شدتنى اليها · وقلت هذه الفتاة الرائعة الجمال لابد أن تكون لى · ويبدو انها قد تعودت هذه النظرة الأولى المندهشة فأرتسمت على شفتيها ابتسامة مبتعدة

كأنها ترسل لى رسالة : ليس من السهل الوصـــول لى · وظلت صورتها تطاردنى طوال ذلك اليوم والأيام · التالية · ظهرت فجأة واختفت فجأة مثل حلم جميل ، وندمت اننى لم أتعرف عليها أو أعرف عنها شيئا فى ذلك اليوم · كنت انتهى من دراستى فى السنة النهائية فى كلية التجارة واغدو الى النادى أبحث عنها ، الى أن وجدتها يوما فى صحبة ابنة خالتى ، ورقص قلبى طربا واضطرابا ، وذهبت حيث تجلسان ، وبدون استئذان جلست وعرفتنى ابنة خالتى بالجميلة · فى السنة الثالثة كلية الآداب ، وعضو جديدة فى النادى ·

كنت حذرا فى تقربى اليها وحديثى معها حتى أكون بالنسبة لها مختلفا عن بقية الشباب الذين يحاولون التقرب اليها · وتحتقرهم بنظرة من عينيها الجميلتين ، أو بكلمة ساخرة من شفتيها الجميلتين وسمعت انها صفعت يوما شابا اعترض طريقها ، وزاد اعجابى وتمسكى ان تكون لى ·

حدثت أختى الاستاذة فى الجامعة عنها وقابلتها ، يومها قالت أختى مباشرة للجميلة أننى معجب بها واحب أن أخطبها وسألتها أن تحدث أهلها فى هذا الأمر وتحدد لنا موعدا لزيارتهم ·

الجميلة لابد أن يكون مهرها كبيرا ، وشـــبكتها غالية فهل سيدفع هذا طالب لم يتخرج بعد · لم يعمل بعد ؟ !

لا أستطيع أن أنسى نظرة أم الجميلة لها كأنها هى التى صنعت جمالها وليس الخالق ســبحانه · ونظرتها لى ، من أين سأحضر مهرها · وكيف سأكفل لها حياة تليق بجمالها ؟!

سأفعل المستحيل ·

كنت متفوقا فى دراستى ، وكنت أدرس اللغات بجانب دراستى حتى أعمل فى أحدى الشركات أو البنوك الأجنبية التى تدفع مرتبات

عالية • ونلت ما أريد فى العمل بمســـاعدة أختى وأقارب مهمين وبتفوقى • وبعد سنتين ، وبعد أن نالت الجميلة شهادتها ، وبعد أن دفعت أمى مهرها الكبير « أصبحت الجميلة لى » •

لقد أحبتنى • هى قالت هذا يوما ، لمعاملتى المختلفة لها عن الآخرين ، لحبى لها المجنون كنت أطير فرحا وأنا أعلن لأعضـــاء النادى أن الجميلة أصبحت لى • لكنى لا أنسى نظرة رجل مجرب وكلماته « الجمال ليس فى المظهر ، الجمال شىء آخر ربما تعرفه على مر السنين » •

نعم • الآن أنا أعرف أن الجمال ليس فى المظهر بعد تجربة سنة واحدة مع زوجتى الجميلة • الجمال ضوء يشع من النفس الداخلية يشع من النفس الحساسة الطيبة يشع من العقل الذكى فيضفى على الانسان انسانية تحبب فيه الخلق تجعله ضوءا مشعا لحياتهم أيضا •

ربما لذلك تصـــبح أجمل الجميلات أقبحهن اذا كانت تفتقر للجمال الداخلى للنفس والعقل • ربما يسألنى أحد • ألم تكتشف غرورها وحقيقة نفسها الداخلية أثناء فترة التعارف والخطوبة ؟ ! نعم • اكتشفت أشـــياء لم تعجبنى ، لكن كان جمالها يطغى على أفكارى ، وحسد الشـــبان أننى فزت بحبها وخطبتها كان يعمينى أجمل الجميلات تتأبط ذراعى ، يا فرحتى • ويا خيبة آمالى •

لأن والدى فقدناه من أول سنى دراستى الثانوية • وأخى الذى يكبرنى يعمل فى بلد بعيد • وأختى الأســـتاذة فى الجـــامعة تزوجت ، فأنا أعيش مع أمى ، وقد رحبت أن أقيم وزوجتى معها فى شقتنا الكبيرة • وكذلك رحب أهل زوجتى الجميلة فهذا لن يكلفهم عمل جهاز كامل لشقة جديدة • وقالت الجميلة وقت خطوبتنا انها تعتبر أمى أمها أيضا ، وحمدت الله على هذه التساهيل •

سألتها يوما : « ياجميلتى فى أى مكان تريدين أن تعملى ؟

وصرخت كأن ثعبانا ساما عضها فجأة ، وانطلقت الكلمات من شفتيها الجميلتين مثل طلقات الرصاص « أعمل ·· تريدنى أن أعمل ·· واستيقظ مبكرة كل صباح وأجرى لألحق المواصـــلات وأنضم الى طابور الموظفات البائسات القبيحات ، ويذهب جمالى من الارهاق أنت لم تتزوجنى لأعمل ، وأنت لست محتاجا لنقود عملى · مرتبك كبير وأمك تدفع معظم مصاريف البيت من دخلكم الخاص » ·

ألجمتنى المفاجأة · أو الصدمة وقلت : العمل يعطى للمرأة قيمة وينمى شـــخصيتها · مطت شفتيها الجميلتين وقالت : المرأة القبيحة هى التى تعمل ·

كدت أقول لها وهل نساء العالم الآن قبيحات وأنت الجميلة · لكن صمت · ثم قلت لها ملاطفا · أنت حصلت على درجات تؤهلك لعمل دراسات عليا · بعدها يمكنك أن تعملى بالتدريس فى الجامعة ·

قالت ســاخرة بغرور : هل تدرى كيف حصـــلت على هذه الدرجات ؟

قلت : باجتهادك طبعا وحبك للعلم ·

ضحكت ضحكة لم تعجبنى وقالت : بجمالى ·· كان المراقبون فى لجنة الامتحان يقولون لى الاجابات الصحيحة · أنا لم أحب العلم يوما · وأخذت الشهادة الجامعية لأنها موضة تتحلى بها الفتيات

وكانت المرة الأولى التى شعرت فيها أننى أريد أن أصفعها · لكنى أمسكت يدى · وقلت لها يومها : ياجميلتى ستكونين زوجة فقط وتنجبين لى أطفالا فى غاية الجمال · قالت : « لن أنجب قبل خمس سنوات ، لا أريد أن أفسد جمال جسدى الآن · أريد أن أســـتمتع

بالحياة معك • نخرج للنزهات والسـهرات • نسـافر الى بلاد العالم •• » •

لم أفكر كثيرا فى ماذا يدور برأس زوجتى الجميلة • كنت أريد أن أستمتع بها ومعها بالحياة • أعود من عملى أجدها مستقلية باسترخاء • أو فى النادى مع صديقات تستمتع بنظرات الاعجاب وتزاول رياضة الحديث مع النساء ، فهى لا تحب أن تزاول أى رياضة أخرى فى النادى ، وحاولت أن أجعلها تزاول رياضة التنس معى وفشلت •كنت دائما انتقد النساء اللاتى يجلسن كل يوم فى النادى يتحدثن ، وأتساءل لماذا لا يعملن ، أو لماذا يتركن بيوتهن كل يوم ؟ !

وكل مساء تريد زوجتى الجميلة أن أصحبها للخارج مهما كنت متعبا من عملى • ولا تحب أن تجالس أمى أو تساعدها فى أعمال البيت • ولا تحب أن تزور أختى وزوجها لأن ضيوفهما من المثقفين الثقلاء وأنا أحب مجالسة هؤلاء الناس • فقد نشأت على حب العلم والثقافة واذا كان اتجاهى للدراسة التجارية الا أن هذا لم يمنعنى من الاطلاع ، أما زوجتى الجميلة فهى لا تقرأ كتابا • وتلقى نظرة على جريدة الصـباح بلا اهتمام • وتغطس فى مجلات الموضـة وتتشاجر معى اذا عارضتها فى شراء رداء •

وأصبحت تتشاجر مع أمى اذا هى طلبت منها مساعدة فى أعمال البيت • وتحدثت بصـوت مرتفع قبيح مع أختى الأستاذة وتطاولت عليها بالكلمات عندما نصحتها يوما الا تكون عاطلة وأن تفعل شيئا فى الحياة •

زوجتى الجميلة لا تحترم الكبار • وتصورت ان جمالها يغفر لها كل الهفوات • وان نظرات الاحتقار وابتسـامات الامتعاض وكلماتها مثل طلقات الرصاص كل ذلك لن يشوه جمالها • وانها الملكة المتوجة بالجمال وعلى من حولها ان يخدموها وكانت أمها

عندما تأتى لزيارتنا تؤكد هذا لنا · **وأصبحت حياتى لا تطاق** من الارهاق المادى والنفسى ·

نظرت الى زوجتى الجميلة وتســـاءلت · ما فائدة الرأس الجميل اذا كان خاليا من الأفكار الجميلة · ما فائدة الأيدى الجميلة **اذا لم تصنعا شيئا جميلا وما فائدة الجسد الجميل اذا** كانت النفس خالية من الجمال ؟ ! وظهرت لى رؤيا واضحة لمستقبلى معها وشعرت بانقباض · لذلك عندما نطقت زوجتى الجميلة بالكلمة البغيضـــة طلقنى وافقتها على الفور وشعرت بارتياح ·



النسـر

فى نهار شتوى صحو ، قادها الدفء الى شرفة فى منزلها ٠ استلقت فوق مقعد طويل واستسلمت لنعاس كانت فى حاجة له ٠ بعد لحظات من نعاسها شعرت ببرودة فظنت أنها سحابة حجبت ضوء الشمس سرعان ما تذهب ويعود اليها الدفء ، لكنها سمعت صوتا كأنه الريح فقالت فى نفسها سينقلب الجو ، همت بالقيام من رقدتها المسترخية وللمفاجأة لم تجد سحابة تحجب الشمس ، وجدت نسرا كبيرا يرفرف بجناحيه فيصدر عنهما هذا الصوت مثل صوت الريح ٠ نظر اليها بجانب رأسه كعادة الطيور عندما تحملق بعين ٠ نسر ضخم من النوع النادر فى الكون خافت منه ٠ خيل اليها انه يبتسم لها بمنقاره الذى يستطيع أن يقتلها به ، فابتسمت له ٠ اقترب منها أكثر واعتقدت أنه سينقض عليها ، لكنه حملها برفق بمخالبه القوية استسلمت له ٠ أحاطت ذراعيها برقبته وساقيها بجسده ، وأخفت وجهها فى ريش صدره الناعم ارتفع بها النسر ٠ لحظات شـــعرت بالأمان والدفء ثم تذكرت انها معلقة فى رقبة طائر بين

السماء والأرض فأصابها الغم · لقد شاهدت على الشاشة الصغيرة بالأمس رائد فضاء يسبح فى فضاء هذا الكون وظهرت الكرة الأرضية فى الصورة كأنها تدور ، ورائد الفضاء يدور · وقالت معلقة على الفيلم الاخبـــارى ان هذا شىء يبعث على الاكتئاب والغم ، ولو أعطوها مليونا من الجنيهات لتسبح أو تطير هكذا فى الفضاء لن تفعلها · وهاهى تطير فى فضاء الكون متعلقة برقبة نسر ، يااللاكتئاب ثم شعرت لحظة بسعادة تغمرها ، شعور مثل النشوة يرفعها بعيدا عن هذا العالم الباعث للقلق والحنق ·

لحظة فكرت ماذا لو أراد صياد أن يصطاد هذا النسر النادر؟! سيفزع الطائر ويلقيها حتى يخف حمله ويستطيع الفرار · لحظة فكرت أن تنظر الى أسفل لترى أين يطير بها النسر · عدلت عن فكرتها حتى لا يصيبها دوار الارتفاعات الشاهقة · احتفظت برأسها فى صدر النسر · جاءت الى أنفها رائحة بحر طغت على رائحة ريش النسر · لحظة فكرت أن تسأله أين سيذهب بها ؟ · لكن هل تسأل طائرا بلغة لا يفهمها · هل تتناقش مع نسر ؟! وكيف تكسب مناقشة مع طائر وهى لم تكسب مناقشة مع شخص من بنى جنسها ؟! · كيف يفهمها طائر ولم يفهمها شخص من بنى جنسها · ! · عرف آلامها وآمالها ولم يخفف من آلامها ولم يحقق لها آمالها ، بل زاد من آلامها ألما جديدا كانت فى غنى عنه · وأضاف الى يأسها يأسا جديدا لا تعرف كيف تتخلص منه · آثرت الصمت · شعرت أن الطائر يهبط من هذا الارتفاع الشاهق · تذكرت آخر مرة ركبت فيها طائرة ، لم يكن قائدها متمكنا فى مسألة الهبوط أو كان الجو رديئا فهبط بالطائرة فجأة وشعرت كما شعر المسافرون الآخرون بدوار كما لو أن الجميع أصابهم فجأة هبوط فى القلب ·

عندما شعرت بالهبوط المفاجىء للنسر قالت فى نفسها ، فليلق بها فى أى مكان · المهم أن يخلصها من التشعلق فى الفضاء · أسوأ

شيء أن يبقى الانسان متشعلقا فى فضاء · أى فضاء · عندما هبط بها النسر لم يرتطم جسدها بالأرض بل شعرت انها فوق شيء رخو· وجدت نفسها فوق فراش مثل شبكة الصيد معلق بين شجرتين · حديقة جميلة · أشجار · زهور رائحتها منعشة ، ووقف النسر فوق الشجرة ينظر اليها بجانب رأسه كعادة الطيور عندما تحملق بعين شعرت أنه يقف حارســا عليها حتى لا تهرب منه · جلســـت فوق الفراش الشبكة تستطلع المكان · فكرت أن تجــرى وهمت بتنفيذ فكرتها فرفرف النسر بجناحيه كأنه يحذرها · جلست مستسلمة له ·

من بين الأشجار ظهر رجل فارع الطول معتدل القوام · جميل الوجه التقت نظراتها بنظراته وخفق قلبها له · تعجبت من نفسها · لقد نسيت من زمن هذه الخفقات الحبيبة للقلب المعلنة عن بداية حب ·· حب ؟! كيف فى هذا المكان الغـــريب ولهذا الرجــل الذى لا تعرفه ؟! كيف وقد استقر رأيها من زمن أن الحب من أول نظرة خرافة · لا ·· انها ليست خفقات حب · انها خفقات الرغبة فى الخلاص من غموض يلفها ، وهذا هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يخلصها منه ·

اقترب منها الرجل بابتسامة تطمئنها · لحظة فكرت : ماذا لو حدثها بلغة لا تعرفها ؟! كيف ستعرف أين هى ومن هو وحكاية هذا النسر ؟ وكيف ستتخلص من الغموض الذى يلفها · ابتسمت · لماذا تقلق والرجل الذى تحدثه بلغة مشتركة لا يفهم ما تقوله ·· ولا تفهم ما يقوله · فلم تعرف أين هى منه وعاشت سنين فى غموض فما الذى يخيفها من غموض آخر ؟! رحب بها الرجل بلغتها · جلس بجوارها على الشبكة المعلقة بين شــــجرتين وقال انه يعرف لغات كثيرة · سألته أن يشرح لها ·· أشارت الى النسر المراقب فوق الشجرة والى الحديقة واليه ·

قال مبتسما ان هذا شيء يطول شرحه وربما لا تفهم ·

هزت رأسها وقالت كأنها تحدث نفسها : « فعلاً ربما لا أفهم لقد ضيعت حياتى بسبب عدم الفهم » ٠

قال : « بل الفهم أكثر من اللازم » ٠

نظرت اليه وسألته : « من أنت ؟ » ٠

قال : « أنا صاحب هذا النسر » ٠

سألته أسئلة كثيرة متلاحقة ٠ حائرة ٠ قابلها الرجل بابتسامة ٠

قال : « مشكلتك فى الحياة أسئلتك الكثيرة » ٠

قالت : « لأنى أريد أن أعرف »

قال : « وأحيانا تعرفين وتفهمين لكنك تسألين أيضا ٠ وأحيانا تأتيك اجابات مضللة وأحيانا تكون الاجابة سؤالا على سؤالك » ٠

قالت : وهل أترك نفسى تتقاذفنى الرياح وأمواج البحار بدون أن أسأل وأعرف أين أنا من هذا الكون ؟ » ٠

قال : « وتتقاذفك الرياح وأمواج البحار ولا تأتيك اجابة عن أسئلتك » ٠

سألته : « من أنت ؟ » ٠

قال : « ستعودين للأسئلة ٠ على أى حال سأريحك على ألا تسألى بعد ذلك ٠ أنت هنا لتستريحى بعض الوقت من أسئلتك وضغوط الحياة عليك ٠ لتجددى خلايا جسدك وتعود اليك حيويتك التى نضبت ٠ هنا لا يوجد زمان ولا مواعيد ولا انتظار ممل ٠ أنت هنا لتستنشقى هواء الأشجار وألوان الزهور ٠ لتسمعى أغاريد الطيور ٠ يوجد كثيرون هنا مثلك جاء بهم هذا النسر الخير ، ليرتاحوا قليلا من عناء الحياة فى مدنكم » ٠

قالت : « أسئلة كثيرة تختقنى » ٠

قال : « ارحمى نفسك واستريحى لبعض الوقت ٠ ستنامين على هذا الفراش بين الأشجار لا تخافى ٠ الأمان مكفول ٠ بعد عدة أمتار يوجد المطعم ، والنادى لتمارسين رياضة كنت تحبينها وتركتها لا تخافى الناس ٠ هناك كلهم خيرون مثلك ٠ لا تندهشى فعندما يضع الانسان قدميه على أرض هذه الجزيرة يتطهر تماما » ٠

قالت : « سؤال واحد ولن أسأل بعده » ٠

انتظر الرجل موافقا ٠

سألته : « كيف يختار النسر هؤلاء الناس الذين يحضرهم هنا ؟ » ٠

ابتسم الرجل وقال : « أسألى النسر » ٠

نظرت الى النسر فى أعلى الشجرة فنظر اليها بجانب رأسه كعادة الطيور عندما تحملق بعين ٠ ســــار الرجل وتركها على أن يقابلها بعد خمسة أيام موعد عودتها الى بلدها وأوصاها ألا تسأل أحدا فى المكان أسئلة لأنها لن تجد اجابة اختفى الرجل ٠ واختفى النسر ٠

وبدأت تمارس حياتها فى هذه الأيام الخمســـة ، فى جزيرة يحوطها بحر لا تدرى أى بحر هذا ٠ جزيرة مثالية مثل هذه المدن المثالية التى تخيلها الفلاسفة العظام قديما ٠ مدينة ليس فيها ضغائن ولا كراهية ٠ كل شىء فيها طبيعى ٠ بدائى ومريح أيضا ٠ تأكل ما تشتهيه وتمارس رياضة تحبها وتنام بعمق ٠ تعجبت من الناس الذين تقابلهم ٠ يبتسمون ويتحدثون بحب ٠ تصـــرفاتهم تدل على استمتاعهم بأخلاق عالية ٠ لا يوجد أحد مضـــطرب أو خائف ٠ وتعجبت انها هى أيضا لم تعد مضطربة أو خائفة ٠ انها فى مدينة

مثالية . أين هذه الجزيرة المثالية ؟ لن تسأل . لأنها لن تجد اجابة انها « يوتوبيا » أى انها فى لا مكان . انها مثل « يوتوبيا » توماس مور » الذى صور فيها دولة مثالية تحقق السعادة للناس وتمحو الشرور من البشر . أو هى مثل « جمهورية أفلاطون » التى صورها بالمثالية أو هى « مدينة الله » التى كتب عنها « أوجستين » . أو « المدينة الفاضلة » التى تخيلها « الفارابى » . تذكرت فيلما سينمائيا شاهدته اسمه « اليوم التالى » تذكرت خوف واضطراب الناس فى تلك المنطقة من العالم ، المنعمين بكل الحضـــارة « التكنولوجية » ودمارهم بهذه التكنولوجيا . شرهم هو الذى يحطمهم . تذكرت دمارهم أيضا بأمراض الحرية الجنسية حتى أصبحوا يعيشـــون فى رعب من بعضهم البعض . تذكرت هذا وهى تلاحظ الأمان الذى يعيش فيه الناس حولها والأمان الذى تشعر به وشعرت انها أحسن حالا بعدم طرح أسئلتها حتى انها نسيت معاناتها . ولما ظهر الرجل والنسر عرفت انه حان موعد عودتها . ابتأست قليلا . لكن لابد من العودة ، حتى تترك مكانها لآخرين يحتاجون للراحة والشعور بالأمان ليستمتعوا كما استمتعت لبعض الوقت .



الصـــورة

نظر الى وجهها نظرة متأملة فابتسمت له ابتسامة حائرة ، لا تدرى ماذا تخفيه نظرته الطويلة · أخرج من جيب سترته الصورة وناولها لها · أول صـــــورة لهما بعد يومين من اعلان خطوبتهما السعيدة · أخذت الصـــــورة من يده بلهفة وتســـــمرت نظراتها · واضطربت لمنظرها فى الصورة واعادتها له ·

سألها : كنت متعبة من شىء ؟

ـ أبدا

سألها ـ أنت لا تحبيننى ؟

ـ تعرف انى أحبك

سألها ـ ألم تلاحظى منظرك فى الصورة ؟

ـ قبيح ·

قال ـ مشمئزا ·

ـ لم أكن مستعدة للتصوير

سألها ـ كنت مشمئزة منى ؟

ـ لا

قال ـ عيون الكاميرا تفضح نفسية الشخص ·

ـ ليس دائما

قال ـ كنت أريد أن أحتفظ بأول صورة لنا معا ·· لكن هذه !

« قلب الصورة بين يديه »

قالت ـ نأخذ غيرها

سألها ـ فى ماذا كنت تفكرين وقتها ؟

قالت ـ لا أذكر

« ابتسمت لتدارى اضطرابها » ·

قالت ـ كنت أفكر فيك طبعا ·

قال متجهما ـ لذلك ظهر الاشمئزاز على وجهك ؟

ـ لا أقصد ·· ناولنى الصورة سأمزقها ··

« أبعد الصورة عنها » قال ـ لا ·· هذه أول صورة لنا ·

قالت فى محاولة لمداعبته ـ واذا شاهدها أولادنا فيما بعد هل ستقول لهم هذه صورة أمكم أيام الخطوبة ؟

قال ـ أنا أذكر انك يومها كنت سعيدة ، وعندما كنت تشربين الشاى أشرت للمصور الذى شاهدته فى تلك اللحظة ليصورنا · أردت أن أعمل لك مفاجأة ·

قالت ـ فزعت بهذه المفاجأة ٠

« أخذت الصورة من يده ونظرت اليها ٠ تذكرت انها كانت حقيقة فرحة معه فى ذلك اليوم ، لكن عندما لاحظت اقتراب رجل من المنضدة التى كانا يجلســـان خلفها والتفتت اليه بدت على وجهها تعبيرات الدهشة التى فسرها خطيبها بالاشمئزاز » ٠

سألها ـ هل أنت نادمة على خطوبتنا ؟

ـ أبدا ٠

سألها ـ لماذا اشمئزازك فى الصورة ؟

قالت ـ كانت الشمس فى عينى ٠

قال ـ نسيت اننا كنا جالسين تحت مظلة » ٠

ـ الحقيقة فوجئت بالرجل المصور ٠

سألها ـ تعرفينه ؟

ـ كان صديقا لأخى ، وكان يستذكر معنا فى منزلنا ٠

سألها ـ وما المفاجأة ؟

قالت ـ ان ينتهى هكذا يتسول رزقه بالمرور على الكازينوهات بكاميرا ٠

سألها ـ وماذا يهمك ان يتسول بكاميرا أو بصندوق سجائر ؟!

« نظرت الى الصورة ٠ الدهشة تغمر وجهها ٠ حاجب يرتفع عن الآخر قليلا ٠ فمها مفتوح كأنها كانت ستقول شيئا عندما وجدت أمامها أول من خفق له قلبها ، على تلك الصـــورة بملابس مهملة وآلة تصوير قديمة ٠ تذكرت كيف كان تلميذا نابها فى الدراســـة

الثانوية لكن لم يكن يحب الدراسة وكانت مع أخيها الأكبر يشجعانه على الاستذكار · كان يلهو كثيرا · ولد وحيدا وسط ثلاث شقيقات كانت والدته تدلله وتعطيه نقودا كثيرة · لم تستطع بحبها أن تبدل استهتاره بالدراسة الى جدية · لم ينجح فى شهادته الثانوية وقرر أن يترك الدراسة ويعمل · سألته بخجل عن المستقبل ، فقال لها مغرورا انه سـيعمل ويكسب من أعماله الحرة أكثر من خريجى الجامعة · لم يجبها على السؤال الذى سألته بخجل ، ولم تستطع أن تقول ماذا تعنيه مباشرة عن ذلك المستقبل وبدأت تقل زياراته لأخيها الى أن انقطعت وكان آخر خبر سمعته عنه من أخيها أن والدته التى كانت تدلله توفيت وان والده تعب من اسـتهتاره وبطالته فطرده من المنزل ··

انشغلت بدراسـتها الجامعية والعالم الجديد الذى دخلته ونسيت خفقات قلبها الأولى ، فقد ثبت تماما فى عالمنا الآن انه لا يوجد شىء اسمه الحب الأول هذا الحب الذى لا ينسى · كان ذلك فى زمن الرومانسية الشديدة حيث عاش « مجنون ليلى » و « جميل بثنية » ومثل هؤلاء المخابيل الذين ضيعوا حياتهم فى وهم الحب الأول ، وبالرغم من كل هذا التغير الا أن الخفقات الأولى للقلب · أول تجربة حب ، تبقى ندية فى النفس · فى القلب · فى العقل · لكنها لا تظهر على السطح الا عندما يظهر صاحبها فى الحقيقة · فنتذكر الحب الأول بفرحة · بدهشة · بسخرية أو بفزع كما حدث لبطلتنا عندما شاهدت حبها الأول بعد سنين طويلة ·

سألها خطيبها ــ لماذا سرحت فى الصورة ؟

قالت ــ أنت جميل فيها ، سأقطع منظرى القبيح ·

سألها متجهما ــ تريدين أن تتركينى ؟

ــ لا ·· طبعا ·

قال ـ عندما ذهبت لاستلم الصورة من محل المصور وجدت الذى يلتقطها ينتظرنى ولم يكن هو صاحب المحل · هو يتعامل فقط هناك · قال لى ان الصورة لم تعجبه وسألنى ان يصورنا صـــورة أخرى فشكرته ووعدته أن اطلبه ليصورنا فى ليلة زفافنا ·· فقال لى أطلبه فى رقم تليفون محل المصور ·

قالت ـ أرجو الا تفعل · فيبدو من حديثك ومن آلة التصوير التى يستخدمها انه لا يفهم فى المهنة ·

سألها ـ ماذا كان بينكما ؟

ـ لا شىء · كان يستذكر معنا · كما قلت لك · وعندما ترك الدراسة اختفى من سنين عنا · هذا كلّ شىء ·

سألها مداعبا ـ افرضى ان المصـــوراتى تقدم لك هل كنت تقبلينه زوجا ؟

ـ لا ·· طبعا ·

سألها ـ لأنه مصوراتى وأنت خريجة جامعة ؟

ـ لم يعد أحد ينظر الى المهن الحرة هذه النظرة · المهم الحب المتبادل والتقـارب بين الأفكار والتقـارب بين الطبقات الاجتماعية أيضا ·

سألها ـ أنت قبلت الزواج منى لأنى مهندس ؟

ـ لأنى احبك وبيننا اشياء كثيرة مشتركة ·

سألها ـ افرضى أنا كنت كهربائى ؟

ابتسمت وقالت ـ اذا كانت مهنتك عن دراسة حقيقية للكهرباء وثقافتك وافكارك متقاربة من ثقافتى وأفكارى وطبقتك الاجتماعية مثل طبقتى واعجبت بك وأحببتك · طبعا ··

قال ــ تعجبنى أفكارك ٠٠ كثيرات من الفتيات الآن لا يهمهن شيء فى الشاب سوى دخله الشهرى وماذا يملك ٠

ــ لذلك معظم هذه الزيجات تفشل ٠

قال مبتسمـــا ــ أنا متفائل ان زيجتنا ســـتنجح ، بتفاهمنا وروحــك الحلوة ، بدليل انى جئت اليك وأنا مكدر وقلق بســـبب الصورة والآن نفسيتى مرتاحة بحديثنا ٠٠

« التفت يمينا ويسارا وسالها بدهشة ــ أين الصورة » ؟

قالت بنفس الدهشة ــ لا ادرى ٠

« أثناء حديثهما أو نقاشهما وقعت الصورة على أرض حجرة المعيشة التى كانا يجلسان فيها فى منزل أسرتها ولم ينتبها الى دخول القطة السيامية التى يربيها شقيقها الصغير الى الحجرة ٠ لعبت بالصورة وأخذتها بين انيابها وخرجت ٠ أثناء تســـاؤلهما دخل شقيقها وفى يده الصورة ٠ تأسف لهما لهذا التلف الذى صنعته قطته بالصورة فهى تحب أن تلعب بالورق ويبدو أن طعم الصورة أعجبها فالتهمت جزءا منها ٠ نظرا الى الصورة الممزقة وضحكا ٠ ولم يفهم الصغير لماذا ضحكا » ٠

سألها هل هذا قرارك الأخير ؟

بلا تردد قالت : نعم ٠

سألها : هل يمكن أن نكون صديقين !

هزت رأسها : ٠٠ لا ٠٠

سبع سنوات ليست بالوقت الطويل جدا ، لكن أشياء كثيرة تغيرت خلال غيابها عن بلدها سبع سنوات ، ومن هذا التغير هذه الخواتم الذهبية اللامعة فى أصابع الأيدى اليسرى لأصـــدقائها ٠ تزوجوا ٠ هؤلاء الذين عرفتهم فى عملها القديم ، كانت تفكر أنها عندما تعود ستقابلهم ، وستعرف أيا منهم تميل اليه أكثر ، وتعمق صداقتها معه ، و ٠٠ ربما ٠٠

لقد فكرت فى تلك السنة الأخيرة من بعثتها فى الاستقرار والبيت عندما تعود الى بلدها ، ولم يتأخر بها الوقت ، الوقت فقط يتأخر

بمفهوم مجتمعا ، لقد تعلمت فى غربتها أنه ليس هناك وقت معين ، وأنه لا يوجد معنى للتأخير فى الارتباط أو الاسراع به ، فمثل هذه الأشياء مرتبطة بحاجة الفرد لها ، وبالشخص الصحيح المناسب الذى نقابله ونتوافق معه ، فى أى وقت ، وأى عمر ٠

عندما وجدت هذا التغير فى أصابع الأيدى اليسرى لأصدقائها أخذت الموضوع فى أول الأمر بمرح ، لكنها بدأت تشعر بوحدة ٠ الذين فى مثل عمرها صنعوا حياتهم وارتبطوا ، وغير المرتبط لم تقابله ٠ منذ عادت من غربتها وهى لا تجد سوى هؤلاء المرتبطين ٠ صديقاتها أيضا تغيرت حياتهن ، وانشغلن عنها، وعملها الجديد لا يأخذ كل وقتها ، والوجوه المحيطة بها لم تألفها بعد ٠٠ الأحاديث لا تخرج عن تحية الصـــباح ، وكلمات عن العمـــل العلمى الذى ينهمكون فيه ٠ عيونهم فى « الميكروسكوب » لا تلتقى بعينيها ، لا ترى سوى أيديهم وهى تمسك بهذه الأجهزة المكبرة وهذا البريق الذهبى فى أصابع أيديهم اليسرى ٠ لم تجد الألفة الا مع أصدقائها السابقين تعرفت على زوجاتهم ، وأصبحت صديقة لهن أيضا ، معهم تشعر بأهمية وجودها ، معهم أيضا تشعر بسخافة وحدتها ، وضرورة أن تكون لها صحبة خاصة وبيت ٠ قابلتهم يوما ، ووجدت معهم أحد أصدقائهم ٠ لم تجد فى أصابعه علامة التغيير الهائلة ٠ لفت نظرها بحلو حديثه ، وتناسق قامته ، واهتمامه الخاص بها ، فى صباح اليوم التالى تلقت أول مكالمة تليفونية خارجية فى مكان عملها ، وكان هو ، دعاها الى تناول الغداء ، وتمضية يوم الأجازة معا ٠ قلقت وفرحت ، وطلبت أحد أصدقائها وسألته عن صديقهم هذا ٠ قال مختصـــرا : انه وزوجته على خـــلاف ، تركته الى بيت أهلها ، وسينفصلان ٠ ابتسمت وظلت ساعات مبتسمة بالرغم من أن ما تشاهده خلال « الميكروسكوب » لا يدعو الى الابتسام ، وقررت أن تقابله ٠

فى يوم مشمس ، ملحوظ الدفء فى الشتاء كان اللقاء الأول وكانت الصحبة دافئة مثل اليوم ، وحتى لو كان يوما باردا ما كانا ليشعرا ببرودته ، فأحيانا نشعر الدفء فى برودة الشتاء ، ونشعر بالبرد فى حرارة الصيف ، وفى مدينتنا العريقة نكتشف أماكن جديدة نفرح بها ، وندعو دعوة ساذجة ونحن نطرق المكان الجديد · نحكى عن ماضينا ببعض « الزواق » · نحكى عن مشاعر حاضرنا ببعض الاخلاص ، أما حكايات المستقبل ، وتكهناته ، فتبقى مبهمة دائما فى مثل حالتهما · فى دفء الصحبة واليوم والمكان الذى لم تزره من قبل مع أنه موجود قبل غيابها ، شعرت وكأنها فى حلم ، وقالت فى نفسها : ان هذا الرجل هو من تمنته دائما ··

أصبحت لا تعرف معنى اليوم الا اذا سمعت صوته ، ولا تشعر بالحياة الا بوجوده ، هذا الذى قال : انه عرف معنى الوجـــود بوجودها ، هذا الذى عرفت حلو الصحبة معه ، فى هذا الشـــعور بالدفء والتقارب أصبحت تجد الألفة مع كل الأشياء ، وحتى مع الوجود التى تختفى فى الأجهزة المكبرة فى عملها · وتساءل كلاهما عن الآخر : أين كنت من زمن ؟! · أين أنت من زمن ؟! · وتساءل هو بحسرة : لماذا التقينا فى الوقت الخطأ · ؟!

ربما منذ سؤاله هذا بدأت تفكر فى هذا الوقت الخطأ · لماذا كان وقتا خاطئا ؟! · لقد قال لها : انها من تمناها دائما ، وأنه ســـيغير حياته معها ، ولاحظت أيضـــا أنه بدأ يختفى · بحساسية المحب شعرت فى تلك اللحظة التى رغبت أن تراه فيها ، أو أن تسمع صوته ، شعرت أنه عاد لزوجته · شعرت أنه بين أحضانها وهى بين أحضان وحدة الليل مع خواطرها المبهمة ، ورأتها معه ·

كانت فى مسرح لمشاهدة فرقة الباليه المصرية ورأتهما · كانت فى أول « الصف » الذى خلفهما وكانا فى آخره · عرفتها من صورة

عائلية كانت يوما معه ، عرفتها عندما التفتت الى الخلف ، راقبته كأنها تسمع ما يقوله من حركات شفتيه · المرأة لم تحرك غيرتها أو غضبها ، لكن رؤيتها معه كانت مثل ماء بارد يرش على وجه النائم أو فاقد الوعى ليصـــحو ، ليعود الى وعيه · رآها وهم يتركون المسرح ، ابتسم لها من وراء ظهر الأخرى ، لم تبتسم ·

تعبت من أسئلتها لنفسها ، ومحاولة فهم موقفه ، ماذا كانت بالنسبة له · هل كانت فترة من فترات الملل ؟! والغضب المؤقت من زوجته ، جعلته يتعلق بها ، ويظن أنها من بحث عنها دائما ووجدها أخيرا ؟!

لماذا قال لها يوما : انه لن يعود الى حياته السابقة ؟ لماذا حدثها عن تلك الحياة بكل القرف ؟! ألم تفكر يوما فى أن الأزواج يفضلون الحياة التى اعتادوا عليها ، يفضلون عدم التغيير مهما كانت متاعب حياتهم ، انهم يخرجون من ملل حياتهم الى مغامرة عاطفية ، ثم يعودون اكثر حيوية لزوجاتهم · ألم تدرك يوما أنها كانت بالنسبة له مجرد مغامرة ؟: ثارت على عواطفها التى انقادت له وصدقته ، ولم ترد أن تحرجه يوما ، وتسأله لماذا لم ينفذ قرار الطلاق ·

تمنت أن تجد من يساعدها على اجابة أسئلتها الحائرة ·

فقال لها صديق : أحيانا نتحدث كثيرا · نقول كلاما ، نتمنى أن ننفذه ، لكن هناك أشياء أقوى من كلام أحلامنا ·

وزادت حيرة أسئلتها · كلام ، كلام ، كلام ، عندما قابلته بعد الحاح قوى منه ، سألته تفسيرا واضحا لموقفه ·

قال ــ أنا أحبك · وهى تحبنى · كادت أن تقتل نفسها عندما علمت بعلاقتى بك ·

لم ترغب فى جرح كبريائها ، ولم تشأ أن تقول له انها أيضا تحبه ·

سألته ــ ماذا تريد الآن ؟

قال ــ لنستمر معا ·

سألته ــ كيف ؟

قال ــ كما كنا ··

قالت ــ كنت مستمرة معك على أمل أن نرتبط ·

قال ــ لا أستطيع ماديا الزواج باثنتين ·

قالت ــ وأنا لا أستطيع نفسيا الزواج برجل متزوج ·

ومع ذلك حاول تأكيد حبه لها ، وحاجته لصحبتها ، وأنه يوما ــ قطعا ، ولابد ــ سيغير حياته ! تعجبت من تناقض مشاعره ، ولم تجد أى معنى لحبها · الحب كما تعرفه يحمل الأمل ، وهو لا أمل معه ، لن يغير حياته ، لم يستطع وقت أن كان فى استطاعته ، وفكرة الحب المؤقت ، والأوقات السعيدة ، وكل يذهب الى حياته ، فكرة لا تحتملها · لم تعجبها هذه الفكرة فى حياة الأوروبيات حيث عاشت وسطهن سبع سنوات ، فهى مهما تغربت شرقية بعواطفها ، تريد الاستقرار العاطفى مع شخص واحد فقط · تريد حياة واضحة ، مثل ضوء النهار واضحة · مثل هذه الخواتم اللامعة فى أصابعهم ، واضحة · لهذا قالت له بلا تردد : لن نلتقى ·

يـوم عـاطفى

غمرها شعور بالفرحة عندما سألها أن تقابله فى مكانهما القديم كما كانا يفعلان من زمن يذهب هو أولا ثم تذهب هى ، كما كانا يفعلان من زمن ، غمرها شعور بالفرحة حسبته لن يأتى أبدا ٠

فى ذلك المكان كانت لقاءات الحب الأولى بعد عقد قرانهما ٠٠ تذكرت ذلك الزمن ٠ سنوات من التعب لكن لم يتخللها ملل اليأس هذا الذى أصبحت تشعر به ٠ سنوات مليئة بانتظار الأمل ٠ لقد رفض أبوها أن يزوجها من هذا الشاب حديث التخرج من الجامعة ، من أين سيجد المال الذى يستطيع به أن يؤجر شقة لحياتهما معا ٠ من أين سيعيشان بمرتبها ومرتبه الصغيرين ٠ أصرت على الزواج من حبيبها فهى مقتنعة به وبمستقبلهما معا ٠ وافق الأب أمام اصرار ابنته ٠ لا يوجد مكان فى بيت أهلها ولا بيت أهله ولم ييأسا ٠ فهو قد التحق بالعمل فى شركة بترول كبيرة فى شئون العاملين حسب دراسته وطلب من الشركة العمل فى المواقع النائية حتى يستطيع أن يوفر المال الاضافى الذى سيحصل عليه لحياتهما معا ٠ وقد تعرف

على أحد المهندسين الذين يعملون هناك وعرف منه حكايته وحرمانه من زوجته حبيبته فكان يراها كل ثلاثة أسابيع لمدة يوم أو يومين · يجلسان معا وسط الأهل أو يخرجان الى مكان بسيط حتى لا يصرفان كثيرا أحبه المهندس وعرض عليه بيته وسط المزارع القريبة من العاصمة ليلتقى مع زوجته هناك الى أن يكون لهما مكان لحياتهما معا ·

استطاعا بصبرهما وحبهما وعملهما أن يؤجرا شقة · ويعيشان معا بعد سنوات من التعب ولقاءات الحب المتباعدة وعاد ليعمل فى العاصمة · انتقل من عمل لآخر لينمى خبرته الى أن استطاع أن يكون لديه عمله الخاص فى مكتب محاسبات · لكن حياتهما الزوجية أصبحت متوترة لأنهما لم ينجبا · ذهبا الى الأطباء · ليس فيهما عيب خلقى أو مرض · ونصحهما أحد الأطباء أن يسافرا فى أجازة طويلة لأن حياة كل منهما مرهقة بالعمل ·· لكن كيف يترك مكتبه الجديد وعمله الذى يريد أن يؤكده · وكيف تترك هى الشركة التى أصبحت مسئولة عن قطاع كبير منها · انهما لا يستطيعان أن يأخذا أجازة طويلة والحقيقة انهما كانا يهربان من التواجد معا لمدة طويلة ·

لفها هذا النوع من الغباء الذى يحدث من الدروان فى دائرة واحدة فهى من عملها الى بيتها لا ترى زوجها الا فى المساء يعود متعبا ، يريد أن يتناول الطعام ويستريح ولم تعد تقابل صديقاتها فهن أيضا مشغولات بحياتهن ، وتقابل قريباتها فى المعازى ونادرا ما تذهب الى الأفراح لأنها لا تحب أن تذهب وحدها بدون زوجها ·

اعترى نفسها صدأ يحتاج الى جلاء قوى حتى تلمع النفس مرة أخرى ويزورها الأمل · أى أمل وفكرت كثيرا هل لم تعد فرحة فى الحياة تنتشلها ؟! والعمل أصبحت تجد صعوبة ومعاناة وهى تقوم به ·

ربما يشعر الفرد بنضوب أفكاره من نضوب عواطفه · لذلك غمرتها الفرحة عندما سألها زوجها أن تقابله فى مكانهما القديم يوم اجازتها · سينهى بعض أعماله ويسبقها الى هناك كما كان يفعل من زمن ·

ذهبت اليه بفرحة المغامرة وقطع روتين الحياة اليومية خفق قلبها بفرحة كانت قد نسيتها من زمن وهى تقترب من البيت البعيد عن العاصمة · الزرع أخضر · الشجر مورق · الوقت بداية صيف نهاية ربيع ·· تماما مثل أول مرة التقيا هناك · كان الجو العام وقتها متوترا · مترقبا · ورائحة الزرع مختلطة برائحة توقع حرب ، وخوفها عليه وهو يعمل فى موقع قريب من منطقة اشتعالها · يومها جلس كل منهما ينظر للآخر لا يدرى ماذا يقول أو يفعل · لم يعرفا عاداتهما ، وكانت نفسياتهما متعبة من الجو المتوتر حولهما لكنها انتشت بوجودها معه · كما انتشت بوجودها فى المكان بعد سنين ·

باب البيت نصف مغلق حتى تدفعه كما كانت تفعل من زمن خفق قلبها للذكريات · هل تعيش معه بقوة دفع ذكرياتها الحلوة البعيدة ؟! ·

نظر اليها مبتسما · مرحبا · كما كان يفعل من زمن · سألته السؤال الذى كانت دائما تسأله بعد دخولها الى البيت ·

ـ أين صاحب البيت ؟

قال مبتسما ـ فى احدى رحلاته ·

دارت فى البيت · كل الذكريات القديمة ترقص أمامها لا شىء تغير فى نظام البيت حتى الصابون فى الحمام هو نفس النوع الذى كانت تجده من زمن · عادت الى زوجها مبتسمة ·

قالت : لم يتجدد شىء · حتى نوع الصابون ·

ابتسم لتذكرها وقال : ربما يفضله ·

تبادلا نظرات صامتة · عادت لها خفقات قلبها المترقبة فرحت بها · لقد أصبحا يعرفان عاداتهما ·

قالت : من زمن لم نكن هكذا ·

قال : حقيقة ·

ضمها بحنان الى صدره ·

قالت ضاحكة ـ ماذا لو عرف أحد بمغامرتنا ؟

قال ـ صاحب البيت يعرف ·

قالت ـ هو انسان عاطفى لن يسخر منا ·

نظرت الى أوراق الشجر الخضـــراء خلال النافذة خلفهما شعرت بنشوة وهى تتذكر نشوتها تلك الأيام البعيدة ·

فرد ذراعيه منتشيا مثل انتشائها ·

سألها ـ ما هى عيوبى ؟

قالت ـ كثيرة

سألها ـ أهمها ··

قالت ـ ذهبت عنك رقة معاملتك وحلاوة خصالك حتى اننى كثيرا عندما انظر اليك أجد شخصا لا أعرفه ·

سألها ـ واليوم كيف ترينني ؟

قالت ـ الذى أحببته وعرفته ·

سألها ـ هل أقول عيوبك ؟

قالت ـ لم أسألك وأعرف انها فى نظرك كثيرة وكلها مهمة وليست لى رغبة فى الدفاع عن نفسى ولا الخوض فى مشاجرة ٠

قال ـ ليكن يومنا هادئا ٠

قام ٠ احضر كوبين من عصير الليمون وقال مبتسما تدغدغه ذكرياتهما ٠

ـ قطفت الليمون من الشجر ٠

قالت ـ هل تذكر كلماتك هنا من سنين ٠ الحب مثل الشجر ؟

أكمل كلماته التى قالها من زمن

قال ـ اذا زرعت حبا فى أرض طيبة تجنى حبا واذا زرعته فى أرض غير طيبة تجنيه شرا ٠

قالت ـ كثيرا كنت أتساءل فى لحظات الضيق ٠

ما هى أرضك التى زرعت فيها حبى ٠ هل هى طيبة ٠ أم غير طيبة ، أم هى أرض ، تشرب ولا تنبت تبتلع الحب والماء ولا تنبت ٠

أخذ وجهها بين يديه ٠ قبلها وهو يبتسم ٠ ثم نظر فى ساعته ٠ وفهمت أن يومهما « الرومانسى » قد انتهى ٠ ٠وشعرت بذلك الشعور الذى كانت تشعر به من سنين وهما يتركان المكان ٠ شعور بانقباض لأن يوما حلوا مضى ٠لمفاجأتهما ٠ وتعجبهما أنهما بعد عشر سنوات من زواجهما ويأسهما من الانجاب حدثت المعجزة بعد يوم عاطفى قضياه معا ٠

استقالة مرشدة سياحية

سألها رئيسها فى العمل « هل هى مصرة على الاستقالة ؟ »

هزت رأسها ·· نعم ··

قال : « سأعطيك أجازة أسبوعين ·· استريحى وفكرى » ·

قالت : « سأفعل » ··

قال : « يبدو انك نسيت البند الأول فى عملنا »

لم ترد وخرجت من مكتبه ·

عملها مرشدة سياحية ، تقابل افواجا كثيرة من السائحين ·

تطوف بهم العاصمة للمعالم الأثرية والحديثة تسهر معهم فى نوادٍ ليلية · تسافر معهم الى أقصى الصعيد والى شمال الجمهورية ، تتجاهل كلمة غزل عابرة · تتناسى لمسة يد غير مقصودة ، تنظر الى الشىء الذى تقوم بشرحه أكثر من نظرتها الى وجوههم ، قال لها

رئيسها عند بداية عملها ، أن البند الأول فى هذا العمل الابتعاد عن العاطفة ، العاطفة ليس لها مكان فى عملهم ، ستتعبها هى · حقيقة اكتشفتها خلال عملها ، فهم يحضرون ويذهبون وتتغير الوجوه دائما ·· بعضهم يرسل لها بطاقة تهنئة فى بداية عام جديد وبعضهم ينسى حتى اسم الشركة التى تعمل بها ·

خمس سنوات وهى تدور فى هذا العمل ، كلمات حفظتها وتقولها كأنها ابتلعت شريطا مسجلا يدار كلما جاءت مجموعة من السائحين وتطوف بهم فى أماكن زياراتهم حتى كلمات الترحيب والوداع مسجلة على الشريط والبند الأول مسجل فى رأسها · ليس وهناك مكان للعاطفة فى هذا العمل ، من كثرة ما حافظت على هذا البند تسرب حرصها الى حياتها الشخصية · ربما لم تجد الوقت وربما لم تقابل الرجل · وربما فرحتها الأولى بالعمل وسخاء المرتب وما يضاف اليه من مكافآت مع كل مجموعة تكون مرشدة لها ، جعلها تنسى عواطفها ويتأكد البند الأول من طبيعة العمل ·· استطاعت أن تقتصد من دخلها ، استطاعت ان تشترى سيارة صغيرة لكنها وبعد خمس سنوات فى هذا العمل أصبح فى داخلها شىء جاف تشعر به ولا تلتفت له ·

وكانت اللمسة الحلوة فى حياتها ، جعلتها تلتفت الى هذا الشىء الجاف فى داخلها وتتساءل كيف تحملت هذا الجفاف سنين طويلة منذ عملت ·· لا ·· منذ تخرجت من كلية السياحة ·· لا ·· منذ فقدت حبها الوحيد وهى فى السنة الثانية فى دراستها الجامعية ، قريبها الذى أحبته منذ صباها وقرر فى لحظة طمع ان يتزوج ابنة رجل ثرى ، ربما أيضا انهمكت فى العمل وتناست عواطفها لتصبح ثرية مثل التى تزوجها حبيبها ·

وكانت اللمسة الحلوة فى حياتها ·

يوجد أشخاص نادرا ما نقابلهم فى الحياة · أشخاص نشعر أول مرة نراهم اننا نعرفهم من زمن والحياة فرقتنا ، أو البــلاد أبعدتنا ، ونفرح عندما نلتقى بهم ، كأننا حقيقة افتقدناهم من زمن · وكان من هؤلاء الأشخاص النادر وجودهم ·

عندما تم التعارف بينهما · طالت نظرته لها · وطالت نظرتها له · تعجبت من نفسها · لماذا هو بالذات وسط مئات الوجوه التى قابلتها فى عملها ؟! كادت أن تقول له :

« أين أنت ، افتقدتك ، لم نسمع أخبارك من زمن » ··

ملامحه شرقية ·· هل لأنه من بلاد البحر الأبيض المتوسط التى تنتمى لها ؟ · هل لأن وجهه يذكرها بوجه أحبته فى طفولتها أو صباها ؟ ·· هل ·· ؟ لماذا كثرة الأسئلة ؟!

كان طول الوقت بجانبها ، وسط هذه الوجوه الكثيرة لا ترى سوى وجهه · شريط التسجيل الذى ابتلعته من زمن وتديره وسط مجموعة السائحين حدث له عطب كانت تتحدث عن معالم مدينتها كأنها تراها لأول مرة · بهرتها أشياء فى الآثار القديمة والمنشآت الحديثة شاهدتها مرات ومرات · تحدثت عنها بطريقة جديدة وهو بجانبها ، مبهور بما يرى وينعكس انبهاره وفرحته عليها ·

الأحاديث المتنوعة جمعتهما · السيارة الســياحية الكبيرة جمعتهما · شعور جميل انتابها ولم يفارقها · فرحة نسيتها من زمن أو فرحة لم تعرفها من قبل ·· سألت نفسها هل عاشت سنين طويلة تدرس هذا العمل بالذات وتقوم به لتستقبله ؟

أعجبه اسم « على » وقال انه سيغير اسمه الأوروبى بهذا الاسم انطلقت أحلامها المحبوسة · ربما ·· وربما ·

كانت دائما تترك المجموعة التى تصاحبها ساعات فى بعض

الأيام لتكون جولة حرة لهم ٠ واحيانا كثيرة فى الليل لا تصحبهم الى النوادى الليلية المقررة « لزهقها » مما تقدمه ٠ ولترتاح أيضا من الأحاديث المكررة ٠

أصبحت راحتها من هذه المجموعة هى لقاؤها به ٠ يسيران فى طرقات المدينة ليشترى أشياء صغيرة لأسرته ٠ لوالدته وأخوته ٠ تعمد أن يخبرها انه ليس متزوجا تعمد ان يقول لها أنه لم يقابل فتاة أحلامه لكنه ربما جاملها أكثر من اللازم عندما قال لها ان الفتاة الأوروبية لا تعجبه ٠ قابلت صديقاتها ولاحظن فرحتها بالغريب فى عينيها فى وجهها وفى حديثها المنطلق ٠

وهو لم يخف شعوره عنها ، بكلمات حلوة يقولها بلمســـة تصرف ٠ بقبلة يرسلها اليها مع الهواء ٠٠ برقصة تختلط فيها غرابة لقاء بحلاوة نغم ٠

فوق هضـــبة الأهرامات فى ليل القـــاهرة وقفت المجموعة ليشاهدوا المدينة من هذا المكان المرتفع قالت كأنها تحدثه هو فقط : « مدينتى عمرها أكثر من ألف سنة » لم ينظر الى المدينة ، ونظر الى وجهها ٠ قال : « أحببت مدينتك » ٠

شعرت ان هذا اعتراف خاص لها ٠ خفق قلبها ولم تنم ليلتها من السهل أن يتزوج العربى من أجنبية ، لا توجد مشكلة حقيقية لكن الصعب والنادر أيضا أن تتزوج عربية من أجنبى مشاكل كثيرة تحوطها ابتسمت ساخرة من خيالها الذى شطح بعيدا عن الحاضر وعن الواقع ما الذى حدث لها ؟! ٠٠ ابعدت الفكرة عن رأســـها بمشاكل كثيرة وضـــعتها أمامها لكنها فى اليوم التالى وكل الأيام التالية نسيت قلقها وحيرة أفكارها كانت بجواره وســـط المجموعة تشعر انها سائحة مثلهم وانها ستذهب معه الى بلاد أخرى جميلة غمرها شعور غريب بالألفة معه ونسيت تماما البند الأول فى عملها وكل بنود الحياة ومستحيلاتها لكنها لم تنس ان عليها ان تودعه ٠

كتب عنوانها · وكتبت عنوانه · وعدها انه سيرسل لها ·· قال انه سيفكر فيها كثيرا قال ربما يهديه تفكيره الى العودة اليها · حبست فرحتها وامسكت بخيالها وقالت كأنها تهمس لنفسها : « هذا قدر » ربما لم يفهم هكذا لاحظت من نظرته فسألته « هل تفهم معنى القدر ؟ » قال انه يفهم وابتسم ·

عندما ذهب اقنعت نفسها ان ما حدث لها فى الأيام القليلة الماضية كان مجرد حلم حلو · والحلم الحلو لا نراه فى منازلنا الا مرة واحدة ربما نرى مثله ·· لكن ليس هو ·

لقد تعبت المرشدة السياحية من نوع العمل ، والحادث العابر الذى حدث لها جعلها تشعر انها انسانة لها عواطف وليست مجرد آلة عليها شريط تسجيل · أرهقتها الكلمات المجاملة وأتعبتها كلمات الوداع والمال الذى تجنيه لن تستطيع ان تشترى به قلبا صادقا يحبها ربما يكون مجرد اغراء لطالب زواج وربما يكون سببا فى تعاسة لا تحتملها ·· لقد اكتشفت ان طبيعتها لا يناسبها هذا العمل وقررت أن تغيره · ابتسمت وهى تتذكر كلمات رئيسها ان العاطفة فى هذا العمل ستتعبها هى ·· لكنه لم يدرك أن العاطفة يمكن أن تجعلها تعيد النظر فى حياتها كلها ·

ذات الرأس الكبير

كان يوما شديد الحرارة ، وكانت الناس فى بيوتهم ينتظرون غروب الشـــمس كأنهم ينتظـــرون انتهاء غارة ليفتحون نوافذهم وأبوابهم ويخرجون ، وكانت السيدة (ن) تنتظر غروب الشمس لشىء آخر · كانت تنتظر بهجة السهرة التى ستقيمها فى بيتها والعائد السخى الذى تخرج به من مثل هذه السهرات ، ولم تكن تدرى ان هناك غارة بشرية ستداهم بيتها وتقلب سهرتها الى ليلة مأساوية تقضيها فى قسم الشرطة ·

لم تكن السيدة (ن) من هذا الطراز من الناس الذين اذا داهمتهم مصيبة يكون فاقدى الأمل والحيلة او يجلسون فى صمت يستعرضون شريط حياتهم كيف كانوا وكيف أصـــبحوا لنفعل هذا نيابة عنها ··

كانت السيدة (ن) هى الأبنة الثالثة فى أسرة مكونة من أربع فتيات ووالد موظف بسيط من ابناء المدينة ووالدة من بنات الريف تمتلك عشرة أفدنة ، وقد جاءت الى الحياة فى ظروف صـــعبة فقد

أصيبت أمها أثناء حملها بالحمى لذلك وضعت طفلة مشوهة ·· رأسها أكبر من جسـدها ولم تنم بعد ذلك نموا طبيعيا مثل أختيها الكبيرتين · لم تطل قامتها · أدركت السيدة (ن) فى سن المراهقة انها ليست جميلة لكنها قررت برأسها الكبير انها ستكون أحسن من أخواتها وستتزوج زيجة أحسن من أختيها الكبيرتين اللتين تزوجتا من شابين يعملان فى وظائف بسيطة وغير مؤهلين بشهادات عالية ، من هؤلاء العرسان الذين كانت تعرضـهم « الخاطبة » · فكانت الخاطبة فى الزمن القديم تقوم بعمل « الكمبيوتر » فى الزمن الحديث تختار متوسطى الحال والتعليم لمتوسطات الحال والتعليم والأثرياء للثريات حتى تكون الزيجات مناسـبة بدون تفاوت فى الطبقـات الاجتماعية ·

تفوقت السيدة (ن) فى دراسـتها حتى التحقت بالجامعة ، وايقنت وقتها ان الشباب لن يختاروها وعليهـا أن تلفت الانظـار اليها ، بذكائها وخفة دمها ، واستخدمت رأسـها الكبير ونجحت خطتها · بعد عامين من الدراسة الجامعية لفتت نظر زميل لها · أعجب بجرأتها فى مناقشة الأساتذة وخفة دمها فى الرحلات · تقرب منها · أحبها وأحبته خصوصا عندما علمت ان والده تاجر كبير ، وقد عرض عليها الشاب الزواج بشرط الا تكمل تعليمها الجامعى وأن تعيش معه فى بيت أسرته الكبير · برأسها الكبير فكرت ووصلت الى نتيجة انها اذا رفضته لن تجد فرصة زواج أخرى · فالتعليم يمكن أن تكمله فى أى وقت أما مثل ذلك الشاب فلا يمكن أن تحصل عليه فى أى وقت · وقد واجه الشاب اعتراضـات من أهله على التى اختارها ثم رضخوا لرغبته لأنه الأبن الوحيد وسط أربع فتيات ·· وكانت تلك الزيجة التى خيبت آمال السيدة (ن) وأطلقت طموحاتها المادية فى الحياة ·

بالرغم من أن شدة الحرارة قد خفت بقدوم الليل فى ذلك اليوم البعيد الا أن الجو كان قائظا فى قسم الشرطة حيث جلست السيدة

(ن) هادئة تمروح على وجهها بمروحة اسبانية · أما النساء اللاتى قبض عليهن فى بيتها فقد كن فى حالة من التوتر والاحتجـــاج فأمر الضابط بابعادهن عن غرفته ·· وجاء محامى السيدة (ن) بعد مكالمتها التليفونية · دفع كفالة مالية كبيرة للافراج عنها على أن تستدعى وقت المحاكمة ·

فى شقتها جلست السيدة (ن) فى حجرة المعيشة وسط بقايا الطعام وزجاجت الشراب والمقاعد المقلوبة والأكواب المتناثرة ·· جلست وسط هذه الفوضى صامتة وأيقنت برأسها الكبير ان زوجها السابق هو الذى دبر لها هذه المكيدة وقررت الانتقام منه ·

السيدة (ن) ليست من هذا الطراز من الناس الذين يشعرون بأسى على ما حدث لهم فى الماضى أو يصدمون فى الناس ، لقد فهمت زوجها السابق من سنين بعيدة ، فهمت أنه لا يحب تحمل المسئولية وانه يعتمد على الآخرين ليوفروا له سـبل الحياة ، ففى الســـنة الثانية من زواجهما خسر والد زوجها نقوده فى صفقة تجارية فاشلة وقرر أن يبيع بيتهم الكبير ليسد ديونه ·· أعطى لأبنه مبلغا من المال ليؤجر شقة ويعيش مع زوجته مسئولا عن نفسه وعنها ووعده أن يتكفل بهما الى أن ينتهى من دراسته ·· كانت صدمة للأبن وكانت فرحة للسيدة (ن) أن يكون لها بيتها الخاص ·

فى وقت كان من السهل الحصول على شقة بالايجار استطاعت أن تجد شقة صغيرة ايجارها بسيط فى عمارة قديمة لكن فى حى راق من العاصمة ، ودبرت حياتهما بما كان يرسله والده ·

عندما انتهى زوج السيدة (ن) من دراسته الجامعية كان فى ذلك الوقت كثيرون من الشباب قد أصابتهم صدمة بعد هزيمة الحرب فى يونية ٦٧ وشعروا باليأس من المستقبل فى وطنهم وتطلعوا الى الســـفر للخارج للهجرة أو للعمل فلم يكن غريبا أن يتطلع زوج

السيدة (ن) الى السفر فهو قد أصابه اليأس من المستقبل قبل هزيمة الحرب بهزيمة والده فى سوق التجارة ٠

وسافر الى احدى البلاد التى يتطلع اليها الشبان للعمل بعد أن علم أن قريبا له يعمل هناك ٠ سافر اليه بدون عقد عمل لكن بأمل ووعد لزوجته أن يرسل لاستدعائها بعد أن يستقر ٠٠ مرت عدة شهور ولم يرسل لها رسالة يطمئنها على أخباره أو يرسل لها نقودا وهو يعلم أن والده لم يعد يرسل لها شيئا ٠

ولأن السيدة (ن) لا تحب العزلة فكانت على اتصال بصديقاتها منذ أيام الدراسة وعرفن مشكلتها فنصحتها واحدة أن تؤجر شقتها مفروشة وتعيش مع أمها التى أصبحت تعيش وحيدة بعد موت الأب وزواج البنات ٠٠ لمعت فى رأسها الفكرة فالشقة التى تسكنها وأن كانت متواضعة الا أنها فى حى راق يعجب الأجانب ولجأت لصديقة لها تعمل فى فندق لتساعدها ٠ لم تنتظر طويلا وأرسلت لها صديقتها بعض الأجانب وبدأت تجنى النقود ٠

بدلت أثاث شقتها بأثاث جديد وارتفع ايجارها ، وأصبحت تؤجرها لأصحاب الأعمال الأجانب الذين بدءوا يتوافدون على البلد وبدأت عمارات لتمليك الشقق تظهر ، وارتفع ثمن الأرض الزراعية التى تملكها أمها ٠ برأسها الكبير فكرت واقنعت أمها أن تعطيها نصيبها من الأرض ٠ باعته واشترت شقة تمليك فى نفس الحى الراقى الذى تقع فيه شقتها القديمة ٠ أصبحت مئات الجنيهات فى يديها آلاف الجنيهات واشترت شقة أخرى لسكنها الخاص ٠

ازدادت أموالها واتسعت دائرة معارفها وأصبح لديها نهم للنقود فاهتدت الى طريقة أخرى لزيادة أموالها وهى اقامة حفلات فى شقتها لرجال الاعمال الذين يسكنون فى شقتها وأصحابهم ٠ وكان فى دائرة معارفها ممثلات مغمورات وراقصات من الدرجة الرابعة ،

كانت تدعوهن الى تلك الحفلات التى حققت منها دخلا كبيرا ٠ وهن اللاتى قبض عليهن فى تلك الليلة ٠

لقد تناست السيدة (ن) زوجها ولم تعد تطارده بالخطابات التى لا يجيب عليها ولم تفكر فى السفر اليه ٠

لكنه علم بهذا الهناء الذى حدث لزوجته فى غيابه فأرسل لها أخيرا بعد سبع سنوات يخبرها انه افتقدها ٠٠ وعاد ٠

« ويا زوجتى الحبيبة لم أعد استطيع الحياة بعيدا عنك ٠٠ عدت لأعيش معك وأشاركك هذا الهناء الذى تتمرغين فيه » ٠

وكانت الاعذار التى قدمها لها عن عدم ارساله لها خطابات أو نقود كلها اعذار واهية تظاهرت أنها صدقتها ٠٠ وسامحته ٠٠ لقد تركها فى فقرها وعاد ليشاركها ثراءها ، ليكن فهى تحتاج لرجل بجانبها قريب منها فليس لها أخ ولا أبن فهى بسبب اصابتها بالحمى وهى طفلة أو بسبب تكوينها الجسمانى علمت من الأطباء انها لن تنجب ، لكن الزوج أصبح مصدر ازعاج لها ٠ لم يرد أن يعمـــل مادامت زوجته تملك كل هذه الأموال وأصبح يتدخل فى علاقاتها مع زبائنها ، فعملها يتطلب منها المرونة فى المعاملة والا هربوا منها ولن تستطيع أن تخرج من جيوبهم هذه النقود الاضافية بالحفلات التى تقيمها لهم والتى أراد زوجها ان يقتسم دخلها معها ٠ أصبح مصدراً للازعاج فطلبت منه الطلاق وطالب فى المقابل عدة آلاف ٠ لجأت الى المحكمة واستطاع محاميها أن يحصل لها على الطلاق بعد أن أثبت أن الزوج كان هاجرها ٠ حصلت على الطلاق ولم يحصل الزوج على النقود فلم يكن غريبا أن تعتقد انه الذى وشى بها ليفســـد سمعتها ويلوث اسمها ٠ لينتقم منها ٠ انها فى السوق منذ سنوات لم يمس اسمها بشائبة ، سمعتها طيبة وحتى الحفلات التى تقيمها فى شقتها لم تكن كما ظن رجال الشـــرطة ٠ كانت مجرد حفلات « فرفشة » ٠

لكن ماذا تفعل وقد تلوث اسـمها ، سـيرصدون تحركاتها ويضايقونها بغارات على شقتها الخاصة والشقتين المفروشتين · لقد كتب اسمها فى محضر آداب ··

فكرت السيدة (ن) برأسها الكبير طلبت محاميها وأخبرته بقرارها فى تحويل استثمار أموالها فى مشاريع أخرى غير الشـقق المفروشة وان يتم هذا قبل المحاكمة · وفى خلال أسبوع عمل سماسرة الشقق المفروشة الذين كانت تستخدمهم كما عمل محاميها ، وباعت الشقتين الكبيرتين واشترت حديقة فاكهة ومزرعة لتربية الدواجن فى مكان لا يبعد كثيرا عن العاصمة وعادت الى شقتها القديمة ·

فى المحـاكمة دافع عنها محـاميها دفاعا منطقيـا وعاطفيا فالسيدة (ن) ليست بهذه الصفة الدنيئة التى وصفت بها ولم تفتح بيتها لأعمال مخلة بالآداب وأين هذا البيت الآن ؟ السيدة (ن) تكرس حياتها لخدمة الناس وها هى تسـاهم فى حل أزمة الطعام بمزرعة دجاج ، وساعدت زوجها السابق عندما عاد اليها مفلسا بعد أن هجرها سنوات ، لكنه لم يحفظ الجميل ودبر لها هذه المكيدة لأنها لم تعطه النقود التى طلبها · والرجال الذين كانوا فى بيتها هم أصدقاء لطليقها وقد طلبوا منها أن يذهبوا لزيارتها ومعهم طليقها ليعيدوا العلاقات بينهما ، وقد استقبلتهم مع نسائهم ولم تدر أنهن لسن زوجاتهم الا فى قسم الشرطة · ولأن السيدة (ن) مضيافة ومجاملة فقد أعدت لهم ، المشروبات ولم يذهب طليقها ليلتها لأنه كان قد أعد تلك المكيدة لها ·

فى المحاكمة نفت السيدة (ن) معرفتها بالنساء اللاتى كن فى بيتها ، ولأن المحامى وعد النسوة بمكافآت مالية فقد نفين هن أيضا معرفتهن بالسيدة (ن) لقد أيقن انهن سينلن العقاب سواء اعترفن بمعرفتها أم لم يعترفن ففضلن المكافآة وقلن انهن لأول مرة يشاهدنها فى بيتها وقد ذهبن فى صحبة الرجال ·

فى المحاكمة لم يذهب طليق السيدة (ن) للشهادة فثبتت عليه الوشـــاية بها للانتقام ٠ ولم يعرفوا طريقا للرجال الذين كانوا فى السهرة ففى مثل هذه الأحوال يتركون صراح الرجال وهم بالتالى يختفون تماما من الساحة الى أن تهدأ المعركة !!

وخرجت السيدة (ن) سالمة من القضية ، لا تصدق انها نجت من السجن وهوانه وبدأت حياتها الجديدة بنشاط وحيوية ، وكما عرفت من قبل سريعا فى سوق الشقق المفروشة عرفت الآن فى سوق الفاكهة والبيض والدجاج كأنها لم تعرف أبدا الحياة الملتوية لزيادة أموالها ٠ كأنها تابت توبة اضطرارية ٠

عـــدوة الرجـــل

قالوا عنها عدوة الرجل · الناس تحب أن تلصق ببعضـــــها صفات غالبا لا تكون صحيحة ، وأحيانا يحب الفرد هذه الصــــفة الملتصقة به ليكون متميزا · مثل الكاتب الكبير « توفيق الحكيم » الذى أطلقوا عليه يوما عدو المرأة ولم ينف هذه الصفة عنه ، مع أنه ليس عدوا للمرأة وقد دافع عنها كثيرا فى كتاباته · بطلتنا أيضا قالوا عنها عدوة الرجل بالرغم من أنها أصبحت تعيش قصة حب جميلة وستتزوج اليوم ·

ناهد فتاة اجتماعية تعرف رجالا كثيرين ونساء كثيرات بحكم عملها الاجتماعى ، فهى تعمل فى العلاقات العامة بشركة كبيرة ، تقابل أناسا كثيرين فى الحفلات التى تحرص على اقامتها ليس فقط لموظفى الشركة التى تعمل بها ، لكن أيضا للعاملين فى القطاع الكبير الذى تشترك فيه شركتها ، فهى تعرف العاملين فيما لا يقل عن أربع شركات ، هذا غير الأجانب الذين يحضرون الى الشركة من وقت لآخر وتطوف بهم ليس فقط فى قطاع صناعة الشركة لكن أيضا فى

البلاد الهامة ليتعرفوا على معالمها وآثارها ومن هنا توطدت معرفتها بالعاملين فى مصلحة الاستعلامات والسياحة ·

ناهد ليست جميلة ، فهى طويلة · نحيفة · سمراء · شعرها قصير مجعد وتستعمل الوسائل الحديثة لتصفيف الشعر ليبدو ناعما ·· بعض الناس يجدونها دميمة ، لكنها ليست معقدة من شكلها ولا من الذين يقولون عنها دميمة · جاذبيتها فى حيويتها وتعاطفها مع الناس وصحبتها المرحة · جاذبيتها الحقيقية فى هذا التقارب الذى يشعرون به معها فيحكون لها مشاكلهم الخاصة · وهى ضـــعيفة دائما أمام دموع النساء · هى أيضا جريئة · ربما جرأتها هى التى جعلتها تندفع الى مهاجمة الرجال فقالوا عنها انها عدوتهم ·

لقد وجدت ناهد أن الذى يتسبب فى دموع المرأة هو الرجل · أب · أخ · زوج · حبيب · رئيس فى العمل ، واعتقدت أن مأساة العالم هو الرجل · لقد تعمقت فى معرفة تاريخ أحداث العالم المؤلمة، ووجدت أن معظمها سببه الرجل · ربما هى متحيزةلجنسها قليلا وهذا ما جعلها ضعيفة أمام دموعهن ، وهذا أيضا جعلها تتدخل فى حياتهن ، وهذا ما جعلها تتهم أنها عدوة الرجل · العجيب أن الرجل الذى ســــتتزوجه اليوم كان هو أيضا يتهمها بأنها عدوة الرجل ·

بدأت قصة تعارفها ثم حبها بمناقشة حادة أشبه بمشاجرة · قابلته أول مرة فى حفلة أقامتها صديقة لها بمناسبة عيد ميلاد زوجها، وكان ضمن أصدقاء الزوج · قال يومها أحد الشبان انه قرر الزواج وانهالت عليه الأسئلة من المجموعة عن الزوجة المقبلة · هل يعرفها ؟ هل يحبها ؟ هل هى جميلة ومتعلمة · هل تعمل ؟ ! · وأجابهم الشاب بغرور انه شاهدها مرة واحدة ولا يعرفها ولا يحبها وليست جميلة ولا متعلمة · أحدثت اجابته المغرورة نوعا من الدهشة على وجوه الموجودين ، وسألوه لماذا سيتزوجها ؟ فقال أنها ثرية جدا ، والدها

يملك ارضا وعقارات ، وهى وحدها تملك عمارة جديدة من عشرة طوابق · لم يعجب ناهد حديثه ولا غروره وبدأت معه مناقشة حادة عن هذه الأفكار السخيفة التى تسـيطر على عقول بعض الرجال وأقسمت انه بعد عام على الأكثر سيشكو من حياته ويملها · تشعبت المناقشة ، واشترك الموجودون فيها وانقسموا الى فريقين · فريق يهاجم الأفكار السخيفة تتزعمهم ناهد · وفريق يؤيد هذه الأفكار يتزعمه الشاب المغرور · أصبحت المناقشة بين الفريقين مثل مباراة حامية فى كرة القدم ، وضمن الذين هاجمتهم ناهد ليلتها كان هذا الرجل الذى ستتزوجه اليوم ·

انتهزت النساء هذه الفرصة ليقلن ما يضايقهن فى الرجال ، وانتهز الرجال الفرصة ليقولوا ما يضايقهم فى النسـاء وتحولت الحفلة الى ميدان قتال بالكلمات · حاولت صاحبة الدعوة أن تهدىء الجو بلا فائدة فبكت · صمتوا فجأة · وقال الرجل الذى ستتزوجه ناهد اليوم انها السبب فى افساد الحفل ويبدو انها ـ حقيقة كما سمع ـ عدوة الرجل ·

اقتربت منه ناهد وسألته : « هل تجدنى جميلة ؟ » ·

قال بحدة · « لا » ·

قالت : « اذا عرفت أننى أملك عمارة جديدة بعشرة طوابق هل تتزوجنى ؟ » ·

قال بحدة : « لا »

صرخ الزوج المحتفى به طالبا من الجميع أن يتوقفوا عن هذه المناقشات ·

فى اليوم التالى فوجئت ناهد بالرجل الذى هاجمته فى الحفلة يطلبها فى شركتها ويعتذر لها عن حديثه الفظ معها وطلب مقابلتها ·

ومنذ ذلك اليوم · من عام مضى وناهد تعيش قصة حب هادئة مع الرجل الذى هاجمته وســتتزوجه اليوم · قال لهافيما بعد ان شخصيتها الهجومية اثارته ووجد فيها صدقا كان يفتقده · ومع ذلك لم تتخلص ناهد من صفة عدوة الرجل ، وربما يكون السبب هو دموع صديقاتها ·

أثناء خطوبتها جاءتها صديقة ، عيناها متورمتان من الدموع ، وقالت لها : انها اضطرت أن تقبل شابا قدمه لها أهلها لأن حبيبها ماطلها وقال حججا كثيرة بسبب تأخيره عن خطوبتها ، ولما علم الحبيب بما جرى هرع اليها ورجاها أن تترك الغريب ، واقسم انه سيتزوجها · ولما قالت لأهلها ، ثاروا ورفضوا أن يخذلوا الرجل الذى قدموه لها ، وأنه أحسن من حبيبها · بكت وهددت ، فهددها أهلها ، وذهبت لناهد · طلبت منها أن تقابل الخطيب وتخبره انها تحب غيره وعليه هو أن يتراجع عن الخطبة حتى لا يشعر الأهل أنهم خذلوه · سألتها ناهد لماذا لا تذهب لخطيبها وتقول له – بصراحة – رأيها !! بكت وقالت : انها لا تستطيع مواجهته · لا تستطيع مجرد النظر الى وجهه · ضعفت أمام دموعها ، وسألتها عن خطيبها هذا ، قالت لها انها تعرفه ، فقد كان زميلا لها فى الكلية ، وانه ثقيل الدم · وذهبت ناهد اليه ·

استقبلها بفرحة ســمجة ، وقال لها : انه ســيتزوج احدى صديقاتها · فقالت له مباشرة : ألا يتزوجها لأنها تحب آخر ولا يمكن أن يجد ســعادة مع امرأة تحب غيره · دارت بينهما مناقشــة حادة وبدلا من أن يغضب ويقرر ترك خطيبته ذهب لأهلها وأخبرهم بما حدث فضــربوها وتزوجته · حذفتها ناهد من قائمة صديقاتها فهى لا تحب الصديقة ضعيفة الشخصية التى تسمح لأحد أن يهينها، لقد علمت أن الخطيب أقنع خطيبته انها « اى صديقتها » لا تحبها وتغار منها وأنها معروفة بعداوتها للرجال ، لأنه لا يوجد رجل يريد

ان يتزوجها · لم تدافع عنها صديقتها وتخبره أنها مخطوبة · قررت ناهد بعد هذه الحادثة أن تتحكم فى عواطفها أمام دموع النســـاء وألا تندفع بأى تدخل أحمق · انها لا تلعن الرجل لمجرد أنه رجل ، فهناك رجال كثيرون تحترمهم وتقدرهم ·

العدو الحقيقى لناهد هو النفاق العاطفى ، وتدخلها فى حياة معارفها وصديقاتها بسبب فضحها هذا النفاق العاطفى · واتهامها بأنها عدوة الرجل · قررت الا تتدخل فى حياة أى صديقة لها ·

بأنها عدوة الرجل ·

قررت ناهد أن تنسى كل ما حدث لها وكان سببا فى وصمها بأنها عدوة الرجل ·

قررت أن تبدأ صفحة جديدة بحياتها الجديدة ··

فى المساء ارتدت ثوبها الأبيض والطرحة البيضـــاء · كانت جميلة · أرادت ناهد أن يراها كل من قال عنها يوما أنها دميمة · سعادتها الداخلية ببدء حياة جديدة مع الرجل الذى تحبه ويحبها أضافت جمالا على وجهها ·

الفرح فى النادى الذى تشترك فيه شـــركتها امتلأ بالمدعوين والمدعوات وكل من أراد أن يشـــبع فضـــوله ويرى الرجل الذى ستتزوجه عدوة الرجل · من وقت لآخر تترك العروس مقعدها بجوار عريســـها وتطوف بمناضد المدعوين المتناثرة فى المكان لتســـأل عن أحوالهم واذا كانوا يريدون شيئا ، لم تتنازل عن دورها فى الحفلات كعاملة ممتازة فى العلاقات العامة ·

لاحظت ناهد أثناء تجوالها أن احدى زميلاتها فى الشـــركة واجمة ، وفى عينيها حزن وآثار للدموع · سألتها ماذا بها ؟ قالت لها زميلتها ان هذه ليلتها وفرحتها فلاداعى أن تضايقها بمشكلة ·

اصرت ناهد ان تعرف السبب ، فقالت لها ان « فلانا » زميلهم الذى تحبه ووعدها بالزواج تعرف على امرأة مطلقة وثرية ، وأصبح مترددا فى وعده لها · هزت ناهد راسها ووعدتها انها ستحدثه وتفضح نفاقه عندما تعود من شهر العسل · اقترب من ناهد زوج صديقة لها وكان قد سمع جزءا من حديثها مع زميلتها فقال ضاحكا :
« لن تتغيرى · غدا ستهاجمين رجلا ! » ·

كتب صدرت للمؤلفة

- يوم بعد يوم – رواية
- عندما يقترب الحب – قصص قصيرة
- حكايات عن الحب – دراسة
- لا تسرق الأحلام – رواية
- هذا النوع من النساء – قصص قصيرة جدا
- انقذنى من أحلامى – قصص قصيرة
- المحب والزواج – دراسة
- أمنيات فى ضوء القمر – قصص قصيرة
- أنت شمس حياتى – قصص قصيرة

تحت الطبع

- آخر ليالى الشتاء – رواية
- تنظيم العواطف – دراسة

فهـــرس

رقم الايداع : ٣٤٤٩ / ٨٧
الترقيم الدولى ٩ ــ ١٣٤٠ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب